لوعة الشاكي

ودمعة الباكي

لصلاح الدين الصفدى

المتوفى سنة ٧٦٤

ضبط . وشرح . وتصحيح

الأديب الأستاذ الشيخ

محمد أبو الفضل محمد هارون

١٣٤١ ﴿ الطبعة الأولى ﴾ ١٩٢٢

على نفقة محمد افندى فهمى حسين الكتبى بجوار الأزهر بمصر

المطبعة الرحمانية

بالخرنفش بمصر رقم ٣٥

لوعة الشاكي
ودمعة الباكي

لصلاح الدين الصفدي

المتوفى سنة ٧٦٤

ضبط . وشرح . وتصحيح

الأديب الأستاذ الشيخ

محمد أبو الفضل [illegible] هارون

١٣٤١ ﴿الطبعة الأولى﴾ ١٩٢٢

على نفقة محمد افندى فهمى حسين الكتبى بجوار الأزهر بمصر

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن بيومي شريف

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتعالى فى كبريائه . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه وعلى أهله وصحبه المستضيئين بضيائه (وبعد) فقد لب منى أن أنظر نظرة فى كتاب (لوعة الشاكى . ودمعة الباكى) ا أبدأ مستعيناً بالله وهو حسبى

ترجمة المؤلف

الأستاذ الشاعر الناثر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى الغيث المسجم . فى شرح لامية العجم) وهو مؤلف جليل من فنون الأدب يقع فى جزئين . وله كثير من النظم الرائق كما قال الصاحب . لها من الهواء رقته . ومن الماء سلاسته . سحر نفثته . ومن الشهد حلاوته . ومعان . كأنها قلب عان . مارت حلاوة العتاب بين الأحباب واسترقت تشاكى العشاق يوم الفراق ومن أمليح كلامه قوله مضمناً المصراع الثانى من كلام الطغرائى

أفدى حبيباً له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * (لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

ومن مطرباته قوله

لقد شب جمر القلب من فيض عبرتي * كما أن رأسى شاب من موقف البين
فان كنت ترضى لى مشيبى والبكا * تلقيت ما ترضاه بالرأس والعين

وتوفى رحمه الله سنة ٧٦٤

(والصفدى) بفتح الصاد وفتح الفاء واسكانها مدينة فى بلاد (فلسطين) فى الأرض المقدسة . احدى مدن اليهود الاربع المشهورة (أورشليم) (صفد) . (حبرون) . (طبرية)

ووسط البلدة على تلة هايلجية الشكل ترى قلعة صفد التى بناها الافرنج الصليبيون سنة ١١٤٠ ومنها ترى الى الجنوب بحيرة طبرية وجبال السامرة والكرمل . والى الشرق بلاد حوران وكان بها لليهود فى أوائل القرن السادس عشر مدرسة شهيرة تؤمها الطلاب من مختلف الأسقاع ولا سيما من أوروبا وأفريقية

وذكر صاحب كشف الظنون هذا الكتاب ونسبه الى غير الصفدى بعد أن قال (وهو مقامة جملة) ولعله وهم

على أن شهرة المؤلف بالكتاب والكتاب بالمؤلف تكفيانا مؤونة البحث والتحقيق والله على ما نقول وكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(أما بعد) حمد الله الذى قضى بالمحبة والولوع * وحكم بإحراق كبد كل عاشق وولوع * وبهوان أهل الهوى فلم يفرحوا بهجوم الهجوع * وأمر بشقاهم اذ سقاهم كأس التفرق والتشوق والتحرق والدموع * والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب قدر العلم المزيد * والحلم المديد * والبطش الشديد * والرأى السديد القائل وقوله يدنى من بالغ الحكمة كل بعيد * من عشق وكتم وعف فمات فهو شهيد * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا المهج (١) فى محبته * ولم يتبعوا غير طريقته * ولم يبتغوا غير سنته * ما هبت نسمات الصبا (٢) فتروح الصب إليها * وتمشت من ديار الاحبة فجرت دموعه عليها ثم أنى (٣) أعرف إخوانى وأصحابى وخلانى وأترابى (٤) * سلمهم الله من سطوات العشق ونهبته * وروعات الحب وحسراته * ودواعى الهوى وهجومه * وحديث الوجد وفتنته وولوع القلب واشتعاله ومسكنته وذله واشتغاله *

(١) المهجة أصله دم القلب وأراد النفوس

(٢) الصبا ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار

(٣) قال المؤلف رحمه الله أما بعد حمد الله ... ثم أنى. وقد أجمع أهل العربية على عدم جواز حذف جواب أما مع الفاء اذا لم يكن قولا ولعلها (فأنى)

(٤) الاتراب جمع ترب وهو من ولد معك والترب الخدن أيضاً

ومرارة فراق الحبيب وفقده * ومايقاسيه المتيم بعد بعده * وما يكابده من تجرع كؤوس هجره وصده * ومايحصل عليه من وجود شتاته [1] * وعدم سناته * وما تذكيه [2] نار المحبة من همول [3] مقلتيه وتصاعد زفراته * ومايبديه الغرام من تواتر أحزانه وتزايد حسراته * ومايجنيه البعاد من تتابع أنفاسه وتواصل أناته * فمعانيه [4] مقهور بالاوجاع والاوجال [5] * مأسور بحبائل الفتن وأغلال الاعلال * لا ينهض بمقاساته إلا الفحول من الرجال * ويضعف عنه كل ضعيف نشأ فى النعيم والدلال * ولقد أجاد من اوضح هذا المقال حيث قال

هوى بين الملاحة والجمال * يقاسيه القوى من الرجال

ويضعف عنه كل ضعيف صب * تربى فى النعيم وفى الدلال

(أن) أضر ماعلى الانسان فى كل زمان * أن يجرى طرفه مرخى العنان * فيمرح فى ميدان الملاحة والجمال * ويسرح فى أفنان اللطافة والدلال * فينظر مالا يقدر على الصبر عنه مع النظر إليه * ولا يستطيع الفرار منه عند الزحف عليه * فيرجع بعد النعمة والوقار * إلى موقف المذلة والانكسار * وبعد المناصب والخدم * الى التفريط والندم * وقد قيل كم نظرة * أعقبت تعبا وحسرة * وكانت نظرة حلوة فأعقبت عيشة مرة * وكان يقطع الليل نوما ملء جفونه * فصار يقطعه سهرا

---

(١) الشتات بفتح الشين مصدر شت يشت بالكسر شتاً وشتاتا افترق

(٢) تذكيه. تشعله من أذكى النار أشعلها (٣) هملت العين فاضت همولا وهملانا

(٤) معانيه مقاسيه ومتجشمه (٥) الأوجال المخاوف

بتصاعد أنينة * وكان قلبه حراويده على العشاق ضارية * فصار قلبه مملوكا ودموعه فى الهوى جارية * وكان تائها على كل متواحد بالخلو * فصار تائها لا يعرف القرار ولا الهدو * وكان مفيقا من سكرة الحب ولاعج [1] الغرام * فصار عاشقا لا يرده العذل ولا يثنيه الملام * وكان ساليا عن ملاعبه كل حبيب * فصار شاكيا من ملازمة كل رقيب * وكان رداعا كل محب عن الحبائب * فصار واقعا فى مصايد المصائب * وكان عاذلا فصار عاذرا * وكان حاذقا فصار حائرا * وكان مخدوما فصار خادما * وكان مسرورا فصار واجما [2] وكان ضاحكا فصار نائحا * وكان كاتما فصار بائحا * وكان سليا فصار سليما [3] * وكان كليما فصار كليما [4] * وكان صحيحا فصار عليلا * وكان عزيزا فصار ذليلا * وكان ذاعز فذل * مذ سطا عليه جيش الحب من كمينة وحل * وطالما أرخى الناظر زمام طرفه * متنزها فى رشاقة معاطف المحبوب وظرفه * متفكها فى لطافة شمائله متفكرا فى شمائل لطفه * اذعاد النظر بوبال الناظر وحتفه [5] * وكان كالساعى الى حتفه بظلفه * والجالب له الحين من حين عشقه وعسفه * ولهذا أمر بغض البصر * ونهى عن ارسال النظر * وقد وقع ذلك فى نظم من شرح الحال * وسرح فى ميدان التتيم وجال * ونظر نظرا أعقبه سهرا ووجدا * وبات كما قال يشكو من المحبوب بعدا

---

(١) اللاعج المختلج فى الصدر (٢) الواجم الذى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام (٣) السليم اللديغ (٤) الكليم الأول الذى يكلمك والثانى فعيل بمعنى مفعول يريد جريحا من كلمه وكلمه بمعنى جرحه (٥) الوبال الشدة والحتف الهلاك

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر (١)
رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فصرح بأن من أرسل رائد طرفه رجع بوبال مرسله وحتفه * لانه يرى مالا قدرة له على كثيره * ولا صبر له يسيره * فاي حال أصعب من هذه الاحوال * وأى شيء أعظم من مقاساة هذه الاهواء والاهوال * وأى أمر أنكى (٢) من مكابدة هذا الخطب الجلى الجليل * وأى بطل يقوى على مقابلة هذا الهم العريض الطويل * وأى شجاع يثبت لنوافث سحر هاتيك العيون * وأى همام يصبر على مناضلة نضال هاتيك الجفون * وأي عين لا تدمع عند معاينة هاتيك القدود العوامل * وأى كبد لا تتقطع عند مشاهدة هاتيك المعاطف والشمائل * وأى قلب لايذوب عند استماع ذلك المنطق الشهى الرخيم * وأى صب لا يؤب (٣) الى محاسن تلك الاخلاق التى هى ألطف من مر النسيم

نظرتك نظرة بالخيف (٤) كانت * جلاء العين منى بل قذاها
فواها كيف تجمعنا الليالى * وواها من تفرقنا وآها

على أن العين التى توقع القلب فى التعب * وتوفر نصيبه من أسهم الهم والنصب وترميه بدواعى الهوان ودواهى الهوى * وتسلمه الى

(١) البيتان لشاعر حماسى مجهول (٢) أنكى بمعنى أشد من نكا القرحة قشرها قبل البرء فنديت (٣) يؤب يشتاق (٤) الخيف الأرض إذا ارتفعت عن موضع السيل وانحدرت عن غلظ الجبل وهو الناحية أيضاً وربما أطلق الخيف على خيف منى

مكايدة الغرام ومكابدة الجوى * لو عذبت بطول السهر وكثرة الدموع * وبفيض الشؤون[1] وعدم الهجوع * وبمسامرة الاحزان والفكر * وبمراقبة النجوم الى السحر * وبعدم الاغفاء وطول السهر * لكان استحقاقها وجود جود الدمع وان طما * وعدم منال المنام وان نما

لاعذبن العين غير مفكر * أما جرت بالدمع أو سالت دما
ولا هجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلاسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما[2]

(وموجب) هذه المقدمة الواعية * والالفاظ التى هى بالتحذير لافظة (أنى) خرجت فى بعض الايام متفرجا وسارحا * وجائلا بطرفى فى الرياض وسائحا * وصحبتى صاحب نخبة المحبة صادق ورفيق لى فيما أروم موافق * فدملك كل حسن ولطافة * وجمع كل حذق وظرافة * ينتصب لخدمتى لايمل ولايسأم * وينصب فى مرضاتى لايكل ولايندم * ويجتهد فى موافقتى لايمن ولاينم * ويحسن فى مرافقتى فلا يذم ولا أذم * قد اتخذته جهينة أخبارى * وكنزا لخزائن أسرارى لاأستطيع مفارقة وجهه الجميل * وهو عندى كما قيل

بروحى من لاأستطيع فراقه * ومن هو أوفى من أخى وشقيق[3]
اذا غاب عنى لم أزل متلفتا * أدور بعينى نحو كل طريق

---

(١) الشؤون جمع شأن وهو مجرى الدمع إلى العين (٢) الضمير فى سفكت يعود على عينه (٣) البيتان لأبى الفضل بهاء الدين زهير المصرى

(فوصلنا) الى بستان قد أخذ زخرفه وتزين * وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلون * تشابه حافات جوانبه كالاراقم (١) * ويصفق النهر لرقص الغصون على غناء الحمائم * وينثر النسيم فيقبضها من الزهر بدنانير ودراهم * قد تطاول فيه من البان (٢) كل قد مقصوف * وخجل فيه من الورد كل خد موصوف * فأجلس النرجس (٣) على عينيه وأحداقه * وظللنا الغصن بسائر أوراقه * وحيا منثوره (٤) الابيض والازرق بالاصابع * وفتح كفوفه نصفه وهو منا غير لائق * وجرى النهر بين يدينا متواضعا بسجوده * وشبب (٥) الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار (٦) على عوده * وقد رقت فيه ورواية * وحدب الحمائم الى الغناء بالاطواق * وروى حديثنا تعطرت منه الربى والمسالك * وأهدى من خيام الحب ختام المسك وزاد

أظن نسيم الروض للزهر قد روى * حديثا فطابت من شذاه المسالك
وقال دنا فصل الربيع فضحكت * ثغور لما قال النسيم ضواحك

قد شاب ذلك الزهر قبل شبابه * وغناه الطير فتساقط من طربه وتجاذبه * ومر عليه النسيم بذيله البليل * فشب حتى عجبنا من حصول

---

(١) الأراقم جمع الأرقم وهو ذكر الحيات (٢) البان شجر لدن الأعطاف (٣) النرجس بفتح النون وكسرها وكسر الجيم من رياحين البساتين طيب الرائحة تشبه به العيون (٤) المنثور أيضا من رياحين البساتين (٥) التشبيب النسيب بالنساء وربما كان أصلها وشب الشحرور بمنقاره يريد رفع منقاره طربا (٦) الشحرور والهزار طائران

الشفاء من العليل [١] فيالها روضة صدحت أطيارها فاطربت الاشجار * وألبستنا ثوب الخلاعة عند خلع العذار [٢]

انظر الى الروض النضير كأنما * نشرت عليه ملاءة خضراء
أنى سرحت بلحظ عينك لاترى * الاغديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة في دوحه * اذ فرق رأسك حيث سرت لواء

والماء قد رق وراق * وتسلسل وهو فى الاطلاق * وجرى فتكسر * وصفا ولم يتغير * وصاحب النسمات وحالفها * وقاطع الاغصان وخالفها * وأتته الرياح لازيارة من شعابها وهضابها * وسرق حلى الاغصان فضمها فى صدره وجرى بها * والعيون ترمقه فى جريه ومسيره * وهو لايفتر عن تدفيقه وخريره * حتى خشينا عليه التكسير من التمادى * ورجونا من ماء عينيه أن يروى كل صادى

ياحسنه من جدول متدفق * يلهو بر ونق حسنه من أبصرا
مازلت أنذره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فأبي وزاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

ولم يزل الطير يسعى بين النهر والغصن فى الاتفاق ويكرر ألحانه ويراسل فى الاوراق * ويجتهد فى الصلح ويدعو اليه * ويحرص على الوفاء ويحرض عليه * وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا * فأجدت مواعظه وكان قلب النهر صافيا وقريبا * وقام النسرين [١] من السرور على

---

(١) يريد النسيم العليل (٢) خلع العذار كناية عن ترك الحشمة
(٣) النسرين بالسين والشين من رياحين البساتين

ساق * وجذب كل صدوح للغناء بالأطواق * وتبسمت من الأقحوان[1] الثغور * وتنسمت نفحات المسك والكافور * واعتل النسيم غيرة وتغير * فتولى وهو بذيله يتعثر * وجعل يجر من الحياء ذيولا على الاغصان * فتعتنق اعتناق المواصل الغضبان

في روضة علم اغصانها * أهل الهوى العذرى كيف العناق
هبت بها ريح الصبا سحرة * فالتفت الاغصان ساقا بساق

وبكى النهر على مواصلة الغصون * وخر لديها وفاضت منه العيون * ومثلها في قلبه شغفا وحبا * وصار بها من دون الصبا صبا

والنهر قد عشق الغصون فلم يزل * أبدا يمثل شخصها في قلبه
حتى إذا فطن النسيم لجاءه * من غيرة فازالها عن قربه
وغدا عليه مهينما بعتابه * سرا فجعد وجهه من عتبه[2]

فلم يزجر النهر عن حب الغصون زاجر ولا عاذل * ولم يجب العذل الا بدمعه السائل * وصار يرد برد الهوى بحر هواه العذرى[3] * وغدا ساعيا بسعادة الاغصان يجرى * فقنع منها بادنى وصال * وربما اقتصر منها في الحب على الخيال

ونهر بحب الدوح أصبح مغرما * يروح ويغدو هائما بوصالها
اذا بعدت عنه شكا بخريره * جفاها وأضحى قانعا بخيالها

---

(١) الأقحوان بضم الهمزة البابونج وهو الخزامى له نور أبيض يشبه به الثغر (٢) الهينمة صوت خفى (٣) العذرى منسوب إلى بنى عذرة وهم قوم شديدو الحب

(فسرحنا) الناظر في تلك الربى والرياض * وسرحنا الخاطر في تلك الخمائل والغياض [١] * وأصغينا الى نغمات طيورها الصوادح * واستنشقنا أرج نسيمها الفائق الفائح * والاطيار قد أخذت في الافنان بفنون ألحانها * وخلعت القلوب بشدوها على دفها وعيدانها * وناحت فناجت كل مشوق بأنواع الاشواق * وفرحت وقرحت فأخذت الاحزان عن يعقوب والالحان عن اسحق * وصدحت فصدعت قلب كل متيم مشتاق * وشدت [٢] في حسين الرمل فهيجت بلابل العشاق * وناحت في النواحي تشكوا ألم الفراق ولها ألف ألف * ولم تكن كالعاشق المسكين ينوح على غصن القوام ويبكي على خصر وردف

وهاتفة في البان تملي غرامها * علينا وتتلو من صبابتها صحفا [٣]
عجبت لها تشكوا الفراق جهالة * وقد جاوبت من كل ناحية ألفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا وما خضبت كفا

(ولم) يكن عندى اذذاك باعث غرام * ولا لى همة التتيم والهيام [٤] * ولا بى من الشغف ما يذود عن جفنى المنام * ولا بي من الهوى ما يقودني إلى الردى بزمام * ولا لى تطلع إلى التضلع من ارتشاف رضاب [٥] الثغور * ولا عندى من الحنين ما يشب الجنين إلى ضمات

---

(١) الغياض جمع غيضة وهى مجتمع الشجر فى مغيض الماء (٢) شدت غنت الحسن والحسين كأمير بمعنى (٣) الأبيات لعبد الله بن الدمنية الخثعمى (٤) المتيم الذى يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه (٥) الرضاب ماء الفم مادام فيه

الارداف والخصور * أتعجب ممن يهيم وجدا وحبا * وأنهر سائل الدمع صبا * وأهزأ بمن يعرض نفسه على المحبوب ليستعبدها * وأكذب بدواهي دواعي الغرام واستبعدها * وأفوق الى جميل بثينة سهام ملام * وأسفه رأى قيس وعروة بن حزام * وأعد مانقلوه من أخبارهم كذبا وتجونا * واستبعد من عاقل أن يجلب لنفسه جنونا * لاسبيل على لسلطان الغرام والسهر * ولا طريق على قلبي لفرد غلام ولو كان كالف قمر (فبينما) نحن في هذه اللذة التي وصفت والعيشة التي راقت وصفت * والحالة التي طابت وحلت * والخلوة التي من الخيال والخبال خلت (اذا) جانب الروض قد سطع بالانوار * وتمايل السرو من المسرار * وصفق النهر طربا * وغنى الحمام وصبا [1] وتبسمت الازهار فرحا وأعجابا * وتعانقت الاغصان بعد أن كانت غضابا * وشممنا أرجا فاق في الآفاق على المسك الاذفر * ولولا التماسك لطار القلب من الخفقان وفر * فحدقنا لنحو تلك الحدائق * لننظر ماهذا الارج الفائح الفائق (واذا) نحن بغلمان عدد الكواكب السيارة * قد أهالوا الشمس في الهالة [2] وأخجلوا القمر في الدارة [3] * من الترك [4] الذين فاقوا بالملاحة والجمال * وتضلعوا من مياه مناهل الدلال * قد تجنوا على العاشق فغدا في حالة مقلقة * وبخلوا بالوصل على الصب بعيون ضيقة * وأحرقوا قلب المتيم

(١) صبا الحمام حن (٢) الهالة للقمر مايحيط به (٣) الدارة للشمس كالهالة للقمر ولا أدرى كيف جعل الشيخ رحمه الله الهالة للشمس والدارة للقمر (٤) قوم رضى الله عنهم ورضوا عنه

ببرد الثنايا وبرد اللمى * وأرسلوا الى مقاتلته من النواظر أسهما وطعنوه بسمر قدودهم العوامل * وأسروه بلطف هاتيك المعاطف والشمائل * لم يتركوا لغيرهم فضلة من المحاسن واللطائف * ولم نر لغيرهم رقة هاتيك الخصور ولا ثقل هاتيك الروادف

لم تترك الاتراك بعد جمالها * حسنا لمخلوق سواها يخلق[1]
جذبوا القسى الى قسى حواجب * من تحتها نبل اللواحظ ترشق
نشروا الشعور فكل قدمنهم * لدن عليه من الذوائب سنجق[2]
لى منهم رشأ اذا قابلته * كادت لواحظه بسحر تنطق[3]
ان شاء يلقانى بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

قد ركبوا الجياد من السوابق * وجذبوا قسيا فاستبقت من قدودهم وعيونهم أسهم رواشق * ورموا قلب المحب فلم يخطئه سهم العيون * وخطروا بمعاطف خجلت منها مائسات الغصون * وشدوا مناطق خصورهم فبهت المتيم وحار * وبرزوا بوجوه تقمر[4] قمر الدجى وتكسف شمس النهار (فحين) رأيتهم وقفت ودمعى سائل وسائح * وبهت ولبي وعقلي ذاهب ورائح (فقال) لى صاحبي أبك خبال أم جنون * أم عشق أرسل من العيون منك العيون (فقلت) أجل لقد طار فؤادى على أغر ان هذه القدود * وسحرت بنرجس اللواحظ وفتنت بورد الخدود وجننت من الوجوه التى صار لها من الحسن افنان

(١) الأبيات لابن معتوق (٢) السنجق الراية فارسى (٣) الرشأ الظبي أذا قوى ومشى مع أمه (٤) قامره فقمره كراهنه فغلبه

وفن * وفتنت بتلك القدود التي أطرقت منها في الرياض الغصون

وجوه في قدود ما أنشات * بافنان الجمال لها فنون
فما رفق هن بذي غرام * به اختلفت من الوجد الظنون
فقيل به خبال مستمر * وقيل أصابه سحر مبين
وقال العارفون ببعض حالي * هوى هذا وليس به جنون
ومعذور اذا مات وجدا * على الاقمار تحملها الغصون

(فنظرت) اليهم وأطلت النظر * وقد سلبني الهوى ما كان عندي من الثبات والحذر * ونسيت ما تجلبه العين على الفؤاد * وجهلت ما يقاسيه العاشق من رعي السها والسهاد * ولم أخل أن العين للقلب عدو * وانها تسلبه القرار وتمنعه الهدو [1]

تمتعتما يامقلتي بنظرة * فأوردتما قلبي أمر الموارد [2]
أعيناي كفا عن قتالي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

(فبدا) لي بينهم ظبي كأنه بدر سافر * أو غزال نافر * فاقهم حسنا وظرفا * وفاقهم رشاقة ولطفا * قد تقمص بالحسن وارتدى بالجمال * وتسربل بالغنج [3] وتمنطق بالدلال * ان تبدا أنكرت البدر في تمامه * أو تثنى لم تعرف الغصن من قوامه * أو رنا [4] لم تدر أسحر بدا أم نصال * أو التفت لم تذكر بعدها جيد غزال * قد أسهر العاشق بطرفه

(١) الهدو النوم (٢) بعضهم يروى البيتين لابن نباته المصرى
(٣) الغنج الشكل وأصل التمنطق لبس المنطقة (٤) الرنو أدامة النظر بسكون الطرف

الوسنان * وفتن الرامق بقدة الفتان * وأطار الفؤاد على مائس غصن قده * واوهى جلد الكئيب المستهام بحل عقدة بنده [1]

من الترك لوعاينت ذلى زعزه * لعاينت مولى لا يرق لعبده
أحب التفات الظبى حبا لجيده * وأعشق غصن البان حبا لقده
رعى الله هاتيك الشمائل انها * لبانة من يهوى وغاية قصده
أياسقمى أعياك رقة خصره * ويا جلدى أوهاك عقدة بنده

(فحين) رأيته خطف قلبى * وأضعف صبرى وضاعف كربى * وتهت فى مهالك الوجد ومهامه [2] الغرام * وبت أتفكر فى لطف هاتيك الشمائل وهيف ذلك القوام * وحرت عند معاينة هاتيك العيون الرواشق * وهمت فى رقة ذلك الخصر وقراطق [3] المناطق * وشغلنى الهوى عن التماسك والتقيه [4] * وقادنى الوجد والغرام فوق المطية * وأصبحت بعد ذلك الخلو ملآنا * وبعد الرقاد مسهدا سهرانا * ومللت بعد الراحة إلى التعب * وبعد الترفه الى الشقاء والنصب * ووقعت فى مصايد مصائب الوسواس * وهونت ما كنت استصعبه من لوم الناس وجريت فى مجال ميدان التصابى كالصبا * وذهبت فى مناكب العشق مذهبا مذهبا * وأنشدت العواذل * وقد هاجت منى البلابل

---

(١) البند حيلة مستعملة أو العلم الكبير (٢) المهمه الأرض المتسعة البعيدة المستوية التى لاماء فيها (٣) القراطق جمع قرطق كجندب لبس معرب كرته مايتدثر به من ثياب النوم (٤) التقية المصدر من تقيته أتقيه حذرته

ألا فليقل من شاء ماشاء انما * يلام الفتى فيما استطاع من الامر(١)
قضى الله حب العامرية فاصطبر * عليه فقد تجرى الامور على القدر

(فدنوت) منهم وقد عقد الهوى لسانى * وقيد الحب والغرام جنانى * وأجرى الوجد دمعى كالمطر * وأسلمنى حالى الى الاسى والسهر * وأنحل العشق جسمى فسار مع النسيم * وصرت من صاحبى ودمعى بين صديق وحميم (٢) * وقلت حيا الله هذه الشمائل الحسان * والقدود التى تغار منها موائد الاغصان * والوجوه التى هى بماء الحسن نواضر * والنواظر التى هى شرك النفوس وقيد الخواطر * أما ترثون لصب مستهام * وأسير فى قيود الوجد والغرام * وقتيل بالعيون ذالوقاح(٣) * وطعين بالقدود التى هى كالرماح * وصريع بمدام المراشف * ولديغ من عقارب السوالف(٤) * ملكت العيون فؤاده * وذادت عن الجفن رقاده * وتركته ذا وجد ثائر وقلب ذائب * وسر مزال وعقل صائب(٥) * وصبر فان ورأس شائب * ودمع قان ولون شاحب * هجر الرقاد وكان من أهله * وعدم القرار لذهاب عقله * ترك المناصب وكان من أهلها * ووقع فى المصائب أدقها وأجلها * يقاسى زفرات الانات والعويل * ويعرض نفسه للهم العريض الطويل * يسامر النجوم السائرات * ويشارك الهموم والحسرات

---

(١) البيتان لمجنون ليلى (٢) الحميم هنا الحار (٣) يريد العيون الشديدة الفعل (٤) السوالف جمع سالفة وهى ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قلت الترقوه (٥) مزال ذائع و (صائب) لعلها (غائب)

يبيت كما بات السليم مسهدا * وفى قلبه نار يشب لها وقد
وقد هجر الخلان من غير ماقلى * وأفرده الهم المبرح والوجد

(فبادرنى) منهم ذلك البدر الزاهر * والغصن الناضر * والرشأ الشادن * والظبي الفاتن * ذو العيون المراض الصحاح * والجفون الرقاق الوقاح * والخد المورد الأسيل * والجيد الجيد الطويل * والخصر النحيف النحيل * والردف الخارج الثقيل * والثغر الاشنب (١) الرائق * والطرف الأدعج الراشق * والمرشف الشهى الزلال * والرضاب القرقفى (٢) الحلال * سيد القوم وواسطة عقدهم * وفتنة الخلق وموجد وجدهم * ظبي الكناس ووحش الفلا * محرق القلب ومذيب الكلى * جاذب العاشق إلى الردى بزمام * مبهت الرامق فى اعتدال ذلك القوام (وقال) أنت حياك الله ورقاك * وسلمك من دواعى الهوى ووقاك * ولا أسهرلك جفنا من جفاء الحبائب * ولا أوقعك من هجر المحبوب فى مصايد المصائب * ولا أحرق لك قلبا بنار البعد والفراق * ولا أغرق لك جفنا بسيل المدمع المهراق * ولا شغل فكرك بتجنى الحبيب وصده * ولا أذاقك منه مرارة هجره وألم بعده * ولا أسامك من صدوده إلى العناء والفكر * ولا أوقعك من تجافيه فى بحار الارق والسهر * ولا سلبك رونق الوصال والاجتماع * ولا راعك بيوم التفرق والوداع * بل عطف الله عليك الاعطاف * وأجناك ثمار الوصال دانية القطاف * وأنالك

(١) الشنب محركة رقة الاسنان واستواؤها (١) القرقفى نسبة الى القرقف من أسماء الخمر

حظا من الرقاد الهنى * ونهلك المرشف الزلال الشهي السنى * وأضجعك مع المحبوب فى فراش واحد * وقلد جيدك منه بمعصم وبساعد * وأباحك لثم الخدود ورشف الثغور * وسرك بحل عقدة البند عن الارداف والخصور * وجمع شملك بمن تحب وتختار * وشمل جمعك بمزار الدنو ودنو المزار * (ثم) تحين غفلة أترابه وركض نحوى بجواده * ففتح لى باب الفرج وأدخلنى من باب النصر دار إسعاده * وقال امض بنا مسرعا الى آخر باب هذا البستان * واسترنا حتى عن عيون النرجس الغيران * لنتشاكى هما كثيراً فى ساعة يسيرة * ووجدا طويلا فى جلسة قصيرة * فسرت أمامه منشرح الصدر بتلك الجلسة * مهنأ القلب بتلك الخلسة * فنظر يميناً وشمالا * وقد تمايل عجباً ودلالا * وقال أقم حوالينا الحرس * وانحط كالسهم عن ظهر الفرس * وأقبل يتمايل بقده كالقضيب المائس * ويرنو بطرفه الكحيل الناعس * وقد سارت محبته فى سائرى * ولم يخطر سواه بفكرى وخاطرى

وافى شبيه البدر يخطر مائلا * ثمل القوام فديته من خاطر(١)

لاشىء أبلغ فى هواه من الردى * يانفس دونك فاعشقيه وخاطرى

(وقال) عهدتك ذا جنان ثابت ونفس أبيه * وعقل مصيب وآراء مضيه * فما الذى جشمك هذا الموقف العجيب * وأسلمك الى البكاء والنحيب * وكيف وقعت فى أمر كنت تزجر عنه الخلائق * وتزدرى منه بكل مهجور وعاشق * وكيف غررت بنفس لم تبرح فى صيانه *

(١) الخاطر الاول المتبختر والثانى أمر من خاطر يخاطر

وأهنتها ولم تكن تعرف الأهانة * وعلام أرخيت رسنها فى ميدان الهوى والهوان * وأعطيتها من طاق الخلاعة فاضل العناء والعنان * كيف نسيت المواعظ التى كنت للناس توردها * والحكم التى كنت تنشدها طوراً وتنجدها * فهل صدقت بدواعى الهوى التى كنت تستبعدها * وهل استعبدتك نفس ما برحت تستعبدها * أين مواعظك فى كف النظر واطالته * وزواجرك فى غض البصر وإجالته * أين تحذيرك من العشق ودواهيه * أين تخويفك من الحب ودواعيه * أين ازدراؤك بالمتيم وسقامه * أين استهزاؤك بالصب وهيامه * فسقت الى نفسك بالنظر الينا تعبا * وحملتها على رغمك وزعمك هما ونصبا * أما علمت أن قتيل الهوى لا قود على قاتله * ولا حرج على متعمده وفاعله * وان ثأره لا يطلب * وفاعله لا يدرك ولا يغلب * ألم يقل إمامك الشافعى رضى الله تعالى عنه * فى تهويل هذا المقام والتحذير منه

خذوا بدمى هذا الغزال فانه * رمانى بسهمى مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إننى أنا عبده * وفى مذهبى لا يقتل الحر بالعبد

(فقلت) له هذا قدر الله وما شاء فعل * وهذا قضاؤه السابق فلا يرد بالحول ولا بالحيل * فانظر إلى بعين الشفقة والرحمة * واجبر كسر قلبى منك بنعمة * ولا تتركنى مثلا فى البرية * ولاحقاً بوحوش البرية (فتبسم) عن ثنايا فضح رونقها عقود الدرر * ورمقنى بلحظ يفتن الحور بالحور (١) وقال أعندك بالله من المحبة كما ذكرت * ومن التتيم ما أنهيت

(١) الحور شدة بياض العين مع شدة سوادها

وأشرت * وبك من العشق ما يذود عن جفنك المنام * ومن الولوع ما أسلمك الى الوجد والهيام * ولحقك من الغرام ما تقول وتدعى * أم كل ذلك من مبالغات المتملق والمدعى * فان كان لك بينة بهذه المقاله * فأت بها ودع عنك الاطاله * فأنا لا أقبل من الشهود إلا من يظهر لى حاله * وتحسن عندى أقواله وأفعاله (فقلت) له عندى شهود يعرفون بالعدالة * مقبولون عندك فى المقالة * يسجلون عند قاضى الحب ما يدعيه المشوق * فيرقم تحت كل اسم مقبول أمين ثقة عدل صدوق *

وعندى شهود للصبابة والاسى * يزكون دعوايا اذا جئت أدعى
سقامى وتسهيدى وشوقى وأنتى * ووجدي واشجانى وحزنى وأدمعى

(فقال) زدنى بينة على دعواك * فقد أنكرت حالك فى محبتك وهواك * وتكثير البينة تطمئن اليها (١) النفوس * وتحصل بها على العناق والبوس (٢) * بعد العناء والبوس (فقلت) له وشهودى معى * وقد فاضت عيونى بأدمعى

ان كنت تنكر حالى والغرام وما * ألقى وأني فى دعواى متهم
فالليل والويل والتسهيد يشهد لى * والحزن والدمع والاشواق والسقم

(فقال) الآن علمنا حالك فان شهودك عدول * وأنت ليس لها ذكرت من الاشجان عنك عدول (٣) * ولكننى أريد منك يميناً لست فيها تمين * بأن عندك من الحنين ما يشيب الجنين * وأنى عندك من جميع الخلق أعز * وفى عينيك أحلى وأبز (٤) * وأن وصالى أحب اليك من الدنيا

---

(١) لعلها اليه . وتحصل به (٢) البوس التقبيل فارسى معرب والبوس الثانى بضم الباء وأصله بالهمز مرادف العناء (٣) عدول مصدر عدل يعدل بمعنى رجع وانصرف (٤) من بز بمعنى فاق

وما فيها * وأن رضاي ورضائى أحلى لنفسك من أمانيها * وان هواى قد ملك منك الفؤاد * وأسلمك الى الارق والسهاد (فقلت) ومن زين صبح الجبين بليل الشعر * وجمل سحر العيون بالكحل والحوز * وغرس فى عذب المراشف صغار الدرر * وخلق أقماراً أرضية أبهى من الشمس وأحسن من القمر * وألسع[1] كل متيم بعقارب السوالف * وأسكر كل صب بصهباء المراشف * وخلق خدوداً أطرى من الورد وأظرف * وأشهى من الخمر وألطف * تفتر عن الحمرة والتخجيل * ولا تصلح لغير العض والتقبيل * وزين الثغور بيواقيت الشفاه * وجعل رضابها دواء كل صب وشفاه * وأبدع فى اجادة الاجياد والاعناق * وجعلها سبباً لزوال العناء عند العناق * وأعدم الخصور وأوجد الارداف * وأبدع فى زخرف مناطقها على الاحقاف[2] * أنك عندى أعز من بصرى وسمعى * وأحب الى من سرورى و نفعى * وأحلى فى عينى من جميع النسمات[3] * وألطف عندى من هبوب النسمات[4] أجتهد فى خدمتك فوق الاستطاعة * وأقابل أوامرك بالامتثال والطاعة

لأجلك سعيي واجتهادى وخدمتى * ويا ليت هذا كله فيك يثمر[5]

---

(١) اللسع معروف ولعلها (ولسع) (٢) الاحقاف جمع حقف بالكسر وهو المعوج من الرمل والرمل العظيم والمستطيل المشرف منه شبه به الأرداف (٣) النسمات جمع نسمة محركة الانسان (٤) النسمات هنا جمع نسمة وهى نفس الريح اذا كان ضعيفا (٥) الأبيات لأبى الفضل بهاء الدين زهير وفى نسخة الديوان فى البيت الرابع بدل تأمر . تؤثر . وفى البيت الخامس بدل وأنى . بأنى . و بدل بخدمتى . بخدمة

تبعت الذي يرضيك فى كل حالة * وإن كنت لم تبصره فالله يبصر
فوالله ما بعدى شب ومشفق * وسوف إذا جربت غيرى تذكر
فما شئت من أمر فسمعاً وطاعة * فما ثم إلا ما تحب وتأمر
على وانى لا أخل بخدمتى * وأبذل مجهودى وأنت المخير

(فتبسم ! تعجباً وتثنى طرباً (وقال) ان صدقت دعواك فى محبتنا * وصحت أقوالك فى مودتنا * فلا تحل عن المحبة الصادقة * ولا تشم للسلو بارقة * ومت على تلك المحبة وابعث * فانها ألطف لشمائلك وأدمث [1] * وليكن لك فى موت هوى الجميل الجميلة * فالموت لابد منه ومافى رد الردى حيله

مت راشداً فلك الجميلة فى الهوى * فالموت فى شرع الهوى بك أجمل

(فقلت) له أقسم بقدك الاهيف النضير * وجبينك المشرق المنير * وطرفك الفاتن الفاتر * ولحظك الساجى الساحر * وشعرك الاسود الحالك * وصدغاك الارقم الفاتك * وخدك الاحمر الناعم * وثغرك الاشنب الباسم * وريقك المستعذب الصافى * وحسنك الوافر الوافى * وورد خدك الجنى * ونرجس لحظك البابلى ودر ثغرك اليتيم * وغصن قدك القويم * ورقة خصرك النحيل * ودعص [2] ردفك الثقيل * وذل مصارع العشاق * وحل سحر مواقع الاحداق * وزورتك التى من غير كلفة ولا ميعاد * وطيب ما أودعت من الهوى فى صحيح الفؤاد * لا حلت عن المحبة فى الحياة ولا بعد الموت * ولا رجعت عن الوداد ولا سلوت

---

(١) أدمث أسهل (٢) الدعص بالكسر قطعة من الرمل مستديرة

قسما بزورتك التى من غير ما * وعد سمحت بها وغير تكلف [1]
وبطيب ما أودعت من طيب الهوى * سمعى وذكر صبابتى وتعففى
هى زورة نفت الرقاد وغادرت * بين الجوانح جمرة لا تنطفى
ما أنت الا منيتى ومنيتى * وعلى رضاك تحرقى وتلهفى
أنا عبد عبدك ان غدوت مواصلى * أو هاجرى أو ظالمى أو منصفى
ومريض حبك ان سمعت بأنه * يوما تحدث بالسلو فلا شفى

(فقال) صدقت فى هذه الدعوى * وتبعت الحق فى الشكوى من عدم السلوى * فأديت عندى من المحبة ما يشهد بصحة دعواك * وبي من الوجد ما أتحقق به بلواك * وها أنا فى خدمتك وبين يديك * ونافذ على حكمك ولا ينفذ حكمى عليك * فأمرنى بالذى تختار وتريد * واحكم فديتك حكم المولى على العبيد * وارسم فانى لك سامع ومطيع * وقل فقولك المسك يضوع ولا يضيع

سيدى لبيك عشرا * لست أعصى لك أمرا [2]
كيف أعصيك وودى * لك دون الناس طرا

(فخلب) قلبى بلطاف كلامه الفصيح * وسلب لبى بغصن قوامه الرجيح * وأولانى من الاحسان مالم يكن فى الحساب * وفاضت جفونى فأخجلت نوء السحاب * وخدد سيل المدامع منى كل خد [3] * وطال

---

(١) الابيات لابى الفضل الحاجرى المتوفى سنة ٦٣٢ (٢) البيتان لابى الفضل بهاء الدين زهير المصرى المتوفى سنة ٦٥٦ (٣) خد حفر وشق والخد ما جاوز مؤخر العين الى منتهى الشدق أو هو من لدن المحجر الى اللحى

شرحه فلا يوصف ولا يحد (وقلت) له أما ترى لصب دمعه مثل اسمه وقد صار السقم أوفر قسمه (فقال) لا تشك لى سائل دمعك فمالى طاقة برد سائل[1] * ولا تشرح لى شرح حبك فهو شرح طويل وليس تحته طائل * وليكن لك فى فوت هوى جميل الحب جميل * فمالى برد التسلى سبيل * فاما كسر قلبى بهذه المقالة * ومنعنى شرح الشرح خوف الاطالة نكست رأسى مكمداً * وصعدت انفاسى منشداً

أقول له أما ترى لخدى * وتسمع من دموعى ماتقول
ونبصر ماجرى منها عليه * لأجلك قال ذا شرح يطول

(فنظر) الى نظرة المحب المشفوق * ولاحظنى ملاحظة الصديق الصدوق (وقال) ما الذى يبكيك وأنا بين يديك حاضر * وما الذى يشجيك وأنا لك منادم ومسامر * وما الذى يؤلمك وأنا لك طبيب * وما الذي يوحشك وأنا منك قريب * وما الذى يقلقك وأنا محدثك ومناجيك * وما الذى يحزنك وأنا تحت أوامرك ونواهيك (فقلت) والله ما أنكانى وا بكانى * وأودى بى وآذانى * الا ما أتحققه من الفراق الداني * فأبكى وأنت حاضر ومقيم * لأنى بالذى يصنع الفراق عليم

فى كل يوم لأرباب الهوى شان * وجد وشوق وتبريح وأشجان
دموعهم كالغوادي وهى سائلة * وفى حشاشتهم للحب نيران
يبكون فى الوصل خوف الهجر من شفق
فكل أوقاتهم هم وأحزان

(١) سائل الاول من سال يسيل والثانى من سأل يسأل

لا يعرفون سلوا يهتدون به * هيهات ليس مع العشاق سلوان

(فقال) دع عنك هذا الكلام * وارسم بالمراد والمرام * واطلب الذي تختاره وتشتهيه * وأظهر لي المقصود ولا تخفيه * فقلت مرادي أن تطفىء كربي من ثغرك بنهله * وتجبر كسر قلبي من خدك بقبله * فهذا مرادي ومناي وجل قصدي * فأنلني مرادي بقيت بعدي

تقبيل خدك أشتهي * أملي اليه ينتهي

لو نلت ذلك لم أبل * بالروح مني أن تهي

دنياي لذة ساعة * وعلى الحقيقة أنتهي

(فنظر) الي متبسما * وأشار الي متحكما (وقال) يالله العجب كيف سلبك الحب العرفان * وأودى بذهنك مع القلب والأجفان * وكيف أعدمك الوجد تلك الفراسة * وأسلمك الى المذلة بعد العز والرياسة * العشق غاب عليك فتهت في صحاري الحيرة * والحب أوقعك في الردى فسلبت الخير والخيرة * ياذا اللون الشاحب * والذهن الغائب والجفن الساكب * والقلب الذائب * والوجد البادي[1] والحزن الحاضر * والدمع الجاري والقلب السائر * والصبر الغادي والنوم الرائح * والقلب الصادي والخد السائح * أما لوحت بين يديك غير كرة * أما صرحت بقولي مرة بعد مرة * بأنني في خدمتك فافعل ما تريد * واحكم على حكم الموالي على العبيد * هارضا بي فانهل منه حتى تروى * وها لساني

(١) البادي الظاهر وانما نبهت عليها لان مقابلتها بالحاضر ربما أوهمت غير ذلك وكذلك في التوالي

فاشرب من مائه حتى تقوى * فسكن بهما من فؤادك غليله وحره * ولا تشره اذ تشرب فتتبع الشربة بالجرة * وهاخصرى وجيدى فاعتنقهما ولا أبالك * وهاخدى وفى فالثمهما مابدا لك * وها مرشفى وريقى فارشف منهما قرقفك وزلالك * ثم دنا منى بلطافة تقصر عنهما صفتى[1] وأهوى بمرشفه وقال الثم شفتى

أهوى بمرشفه إلى وقال ها * ويلاه من رشأ أطاع وقالها
فرشفت من رشفاته معسولها * وضممت من أعطافه عسالها
وظفرت فى اليقظات منه بخلوة * ما كنت آمل فى المنام خيالها

وقال دونك منى وما تريد * فانى منك غير بعيد * فارشف رضابى والثم وجناتى[2] * واغتنم رضاى وادخل جناتى (فعجبت) من لطافته وكرم أخلاقه * وسلب عقلى عند تقبيله واعتناقه * أنعشنى بحمرة خده الرائق الوردى * واسكرنى بخمرة ريقه العاطر الندى

وفى شفتى من ملتقى رشفاته * بقايا رضاب طيبه يتشوف
فأثبت عندى ان فاه وثغره * وريقته كأس ودر وقرقف

(فضممته) إلى صدرى ضمة وأى ضمه * وبادرته بلثمة بعد لثمه * فسلم إلى فى اللثم وفى الرشف قيادى * وأبلغنى من الضم والقبل مرادى * وقال أبحتك نفسى هذه الجلسه * وسلمتك أمرى هذه الخلسه * فبس ما استطعت أن تبوس * وأزل بالعناق مابك من عناء وبوس[3]

(١) يريد عن وصفها (٢) الوجنة ما ارتفع من الخد . مثلثة (٣) البوس أصله الهمز ضد النعيم

(فبادرت) فى الحال إلى امتثال أمره * وتنقلت من برد ثغره ونجد ردفه [١] إلى غور خصره [٢]

يا طيب يوم ظلت فيه معانقا * من اشتهى قد كان يوماً أزهرا
واصلت فيه معذبي ولثمته * ألفاً على وجناته أو أكثرا
ويعز والله العظيم على أن * اصف الذى قد كان منى أوجرى

لكننى لم أخل من واش ورقيب * فلم تكمل لذتى بمجالسة الحبيب* لانى حين حالت عن أردافه بند القبا * خشيت التنغيص من الوشاة والرقبا * فلم أتهنأ بوصل وعناق * ولم يحصل للقلب شفاء من تلك الشفاه الرقاق * بل كنت ألثم لثمة وأنظر إلى الطريق * وأرشف رشفة ورحيقه [٣] فى القلب حريق * فكأنى عصفور أتى يسرق يانع الثمر * وهو حذر من نواظر النواظير [٤] بالغ الحذر *

فكم عناق لناوكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة * من النواظير يانع الرطب

فملازمة الرقيب أمر يضنى * ومرض يفتت القلب ويفنى * والمحبون ابتلوا بالرقباء قديما * ورعوا بهم روض الغرام يانعاً وهشيما * مع أن الرقيب هو المبتلى بالنصب * وصاحب الارق والاسى والتعب * لأن

(١) النجد أصله ما ارتفع من الارض يريد ما برز (٢) الغور المطمئن من الارض يريد الناحل من خصره (٣) عن أبى عبيدة . الرحيق صفوة الخمر التى ليس فيها غش شبه ما يجنيه من رضابه بها (٤) الناظور والناطور حافظ الكرم

العاشق يجد لذة في المحبة عليه عائده * والرقيب يضيع زمانه ويذوب فؤاده بلا فائده * لكن العاشق يشتكي من حضوره ومجالسته * ويتأذى بترصيده وملازمته * فلو كان لي حكم يشاع * أو أمر يطاع * لمتعت كل عاشق بالحبيب * وأخليت الارض من كل رقيب

لي شهوتان أود جمعهما * لو كانت الشهوات مضمونه
أعناق عذالي مدققة * ومفاصل الرقباء مدفونه

ولكن القضاء ليس بمدفوع ولا مردود * ولنرجع الآن إلى ذكر المقصود (فقال) لي مصباح النواظر * وراحة الارواح والخواطر * عدني إلى يوم ألقاك فيه هنا * واغشى فيه وطنك لتبلغ به وطرك والهنا * فقد طال على أصحابي مقامي * وهم لا يدرون أين مرامي * ولا يمكنني التأخير عندك ساعة أخرى * بل اللحوق بأترابي أولى وأحرى * فمتى بلغهم حقيقة خبرنا * واقتصوا مع العلم على أثرنا وقعنا معهم في المقعد المقيم[1] * فلم تأمن أن تحرم من وجهي بعدها نضرة النعيم (فقطع) نياط[2] قلبي بهذا الكلام * وقادني غريم الغرام إلى الردى بزمام * وحرت فلم أدر أين أنا

أحبابنا ماذا الرحيل الذي دنا * لقد كنت منه دائماً أتخوف[3]
هبوا لي قلباً إن رحلتم اطاعني * فاني بقلبي ذلك اليوم أعرف

(١) المقعد المقيم الامر الشديد (٢) النياط ككتاب عرق غليظ يناط به القلب الى الوتين (٣) الابيات لابي الفضل بهاء الدين زهير مطلع قصيدة ويروى في البيت الاخير (دعوني) عوض ذروني

ويا ليت عيني تعرف النوم بعدكم * عساها بطيف منكم تتألف
قفوا زودوني إن منتم بنظرة * تعلل قلباً كاد بالبين يتلف
تعالوا بنا نسرق من العمر ساعة * فنجني ثمار الأنس فيها ونقطف
وان كنتم تلقون في ذاك كلفة * ذروني امت وجدا ولا تتكلفوا

(فقلت) ما اقرب مابين الوداع واللقاء * وما اقصر مابين النعيم والشقاء * وافى الحبيب وطيب الوصل منه يتضوع * ثم سرى بقلبي اذ سار وما ودع

وكنت كالمتمنى أن يرى فلقاً * من الصباح فلما أن رآه عمي

(فقال) إني أود أن أكون بخدمتك مقاما ورحيلا * ولا أتخذ غيرك صاحباً وخليلا * ولكن لا حيلة لي في رد القضا * ومن ذا الذي أعطاه دهره الرضا * ومن عادة الدهر عكس المرام والمراد * واظهار العناء والعناد

يادهر ماللمرء طبع حديدة * فارفق به فالمرء من فخار

ولكن اجعل لي ولك موعداً نجلو به الغم والهم * ووقتاً آتيك به سعياً على الرأس لا سعيا على القدم (فقلت) له وقد ارسل فرط غرامه من طرفي الدمع المدرار * وعدم قلبي الجلد والاصطبار * قد سلبت مني بهذا القول قلباً وعقلا * فعد أنت فالوعد منك أعذب وأحلى (فقال) ميعادنا يوم السبت بهذا المكان * وبالله التوفيق والمستعان * ثم شرع في اسباب التهيؤ للرحيل * ودموع العين تسيح وتسيل (فقلت) له بالله اصدق الوعد في العود والاياب * ولا تدعني اظل اشكو فمثلك لا يشكى ولا يعاب

بالله جد لى بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعنى أظل أشكو * مثل محياك ليس يشكى

(فقال) سمعاً وطاعة لاشارتك * وحظي أوفى وأوفر فى إتيانك وزيارتك * وشرع فى القيام فسقطت مغشياً[1] * فضمني ضمة عدت بها قويا سويا[2] (فقال) تثبت أيها الشهم الشجاع وتجلد أيها البطل المطاع فما أنت من أراذل الناس * ولا ممن يردعه الباس * ودعني من التسويف والتعليل * فلا بد من التفرق والرحيل * وميعادنا يوم السبت المذكور * والله سبحانه ميسر الأمور * ثم ودعني فودعت عقلي وقلبي * ولاقيت أحزانى وكربى (فقبلت) فاه العاطر وعانقت قوامه المياد * وضاعف الوجد حزني فتقطع القلب أو كاد * فما رويت بمراشفه وان كان لها برد فى الفؤاد * ولا سررت بمعانقته لأنه عناق بعاد

قبلته ولثمت باسم ثغره * مع خده وضممت عادل قده
ثم انثنيت ومقلتى تبكى دما * يارب لا تجعله آخر عهده

(ثم) امتطى ظهر جواده الأشقر * وصبح جبينه قد أشرق وأسفر وطرفه قد سكر وعربد * وخده قد توهج وتوقد * وصدغه قد تعقرب[3] وتجعد * وعطفه قد تثنى وتفرد * وخصره قد تناحف

(١) ليس فى كلامهم (مغشى) بالمعنى الذى يريده وانما يقال مغشى عليه من غشي المبنى لما لم يسم فاعله (٢) سويا مستويا معتدلا من سواه وأسواه (٣) الصدغ ما بين اللحاظ وأصل الاذن وتعقرب ظهرت عقاربه يعنى ما استرسل من الشعر على الصدغ بجامع الايذاء فى كل

وتناحل * وردفه قد تخارج [١] وتثاقل * وقال ميعادنا اليوم المذكور بهذا المكان * وركض جواده حتى غاب عن العيان فرحل بمهجة خيم فيها . وعوض العين عن الكرى فيض ماقيها

أيامن غاب عن عيني منامي * لغيبته وواصلني سقامي
رحلت بمهجة خيمت فيها * وشأن الترك ترحل بالخيام

(لحين) ولى غادر فى القلب ناراً لا يخبو زفيرها * وجمرة لا يفتر وقدها وسعيرها * فيالله ما أقرب ما بين الراحة والتعب * وأقصر ما بين اللذة والنصب

ومضى وخلف فى فؤادى لوعة * تركته موقوفا على أوجاعه
لم أستتم عناقة لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

فلم يكن الا بمقدار ما غاب عن عيانى * حتى أظلم على مكانى * وحال قلبى وحار * وسال دمعى وسار * وبقيت باهتا أبكى وأنوح * حائرا كيف أغدو وأروح * وفاضت من عيني عيون * واعترانى ذهول وجنون

ولقيت فى حبيك مالم يلقه * فى حب ليلى قيسها المجنون
لكننى لم أتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

(فبينما) أنا فى تلك الحالة الحائلة [٢] * وقلبى مذعور وعينى حائلة [٣] * استنجد بالدموع فتأتى ولا تأبى * وأرسل الاشجان الى الاجفان فتسلبها المنام سلبا * أقول لقلبى استعد للاحزان والاشجان وللدمع اجر فلمثل هذا اليوم صنتك فى الاجفان

---

(١) تخارج كلمة مبتذلة ولعلها تخاذل (٢) الحائلة هنا المنكرة أو العقيمة من قولهم صارت أبله حائلا أى لم تلقح (٣) الحائلة المتغيرة اللون

لبكاء هذا اليوم صنت مدامعي * وكذا العزيز لكل خطب يذخر
ياساكني وادي العقيق فدتكم * عين مدامعها عقيق أحمر
بنتم (١) فما استعذبت بعد حديثكم * أقفنا ولم يحسن لعيني منظر

واذا بصاحبي قد أقبل من جانب البستان * وهو يجاوب الاطيار بترجيع الالحان * فرآني على تلك الحالة التي وصفت * والصورة التي ماراقت ولاصفت (فاستغرب) أمري واستبشعه * وازدرى حالي واستشنعه (وقال) مالي أراك على هذه الصورة العجيبة * وأرى دموعك سائلة ومجيبة (٢) * قل ولا تكتم مني * وصرح ولا تكني

أياصاحبي مالي أراك مفكرا * وحتام قل لي لاتزال كئيبا (٣)
لقد بان لي أشياء منك تريبني * وهيهات يخفى من يكون مريبا
تعال فحدثني حديثك آمنا * وجدت مكانا خاليا وطبيبا
تعال اطارحك الاحاديث في الهوى * فيذكر كل من هواه نصيبا

قل ماأصابك جعلت فداك * وأي خطب به الدهر رماك * أبك خبال أم جنون * ام أصابتك عيون عيون (٤) (فقلت) نعم بي نظرة عيون كحيلة * مالي من التخلص منها حول ولاحيلة

---

(١) بنتم بعدتم (٢) سائلة اما أن تكون من سال يسيل . واما من سأل يسأل ويكون قد أراد أن الدموع تتردد تردد السؤال والجواب (٣) الابيات لأبي الفضل بهاء الدين زهير وفي الديوان (حبيبا) بدل طبيبا في البيت الثالث (٤) عيون الاولى جمع عين وهي الباصرة والثانية جمع عين وهي الشمس أو شعاعها

ومالى سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلى بالعيون وغرّتي
وقالوا به فى الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

(فقال) كان ذلك وانفصل * واتصل بك من الوجد والغرام ماقد اتصل (فقلت) نعم قضى الله وما شاء فعل * ومن ذا الذى يرد القضاء اذا نزل * ومابقى لى غير تدبيرك الحسن وبذل المجهود * والأجراء من صنيعك المحمود على ماهو المعهود * فقد قامت قيامتى ان لم أشاهد وجه المليح * وقد زالت سلامتى ان لم أعاين قده الرجيح

أنا والله هالك * آيس من سلامتى (١)
أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتي

فقف معى مغيثا أو معينا * أو صاحكا أو حزينا * أو عادلا أو عاذرا * أو قدحا أو ساترا

قف مشوقا اومسعدا أو حزينا * أو محبنا أو عاذرا أو عذولا

(فقال) لأجعلن وجهي فى خدمتك أبيضا * ولأبذلن جهدى لتنال الرضا وفوق الرضا * لكن اكتم مابك واصبر على الغرام * ولا تظهر شأنك لاحد من الانام * فلست من السوقة الاراذل * وظهور هذا منك ليس بطائل (فقلت) صدقت ولكن ليس لى دمع يمتنع * ونصحت ولكن ليس لى قلب يرتدع * فما اقابل حلاوة محبوبي بالصبر (٢) *

(١) البيتان لقاضى القضاة شمس الدين احمد بن ابراهيم بن خلكان صاحب وفيات الاعيان (٢) الصبر حبس النفس عن الجزع وأما الدواء المر فالصبر بكسر الباء ولا تسكن الا فى ضرورة الشعر

ولا أسلو هواه ولو وسدت في القبر * وقد شكا الناس قبلي الم البعد والفراق * وقاسوا عظيم الوجد والاحتراق * ولكن لمثل حبي ما مشيت * وبمثل وجدي لا سمعت ولا رأيت

شكا الم الفراق الناس قبلي * وروع بالهوى حي وميت
واما مثل ماضمت ضلوعي * فاني لا سمعت ولا رأيت

(فقال) قم ايها المغرور المقهور * المأسور المعذور (فسرت) معه الى الدار * وانا استنجد الدموع الغزار * واسكن القلب ولا يطمئن * واعلله وهو لا يتعلل ولا يستكن * وصاحبي يصبرني وانا لا اصغي سمعا * ويعذلني ودموعي تذرف سبعا سبعا * واقول له لا تتعب فقلبي معلق بتلك العلائق * ولا تعتب فنومي وعقلي وصبري طالق وطالق

ومصبر للقلب قلت له فهل * صبر لمن عنه الحبيب يغيب
والله ان الشهد بعد فراقه * ماطاب لي فالصبر كيف يطيب

(ولم) ازل ارسب في الفكر واعوم * واقعد في الوجد واقوم * واعاني من الولوع عظائم الزفرات * واقاسي من الدموع سحائب العبرات * وصاحبي يعذلني ويلحيني [1] * ويعوذني ويرقيني * وانا لا أرجع ولا ألتوي * ولا أرتدع ولا أرعوي * بل أقول له سلم لي قيادي في العشق والهيام * ولا تعترض علي في اللوعة والغرام

للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يافتى بالعذل معترضا [2]

(١) هكذا ليس في كلامهم يلحيه وانما هي يلحاه بمعنى يلومه (٢) يروى في البيت الاخير . فسيم صبرا فأعيا صبره فقضى . وهذه الرواية أصح

روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفى الذى للعهد ما نقضا
قف واستمع راحما أخبار من قتلوا * فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فخب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فاعيا نيله فقضى

(فنظر) الى نظرة مشفق وراحم * وقال سبحان مقلب قلوب العوالم * ولم أزل على حالى الحائل العجيب * ودمعى السائل المجيب * الى أن أتت عساكر الليل الجحافل * وأقبلت طلائعه بكل بطل ومقاتل * فحكم الليل فى وأمر * وحبس النوم وأسلم العين للسهر * وأطلق أجفاني بسيل المدامع الذوارف * ونصبنى واقفا أتلهف من عينيه وصدغيه على الماضى والسالف * قد شرد النوم عن أجفانى فمالى بالمنام منال * وأمرنى بتوديع قلبى عند توديع ذلك الرشأ الغزال

ودعت قلبى يوم توديعهم * وقلت ياقلبى عليك السلام
وأنت يانوم انصرف راشدا * فان عينى بعدهم لاتنام

قد نسيت الكرى والصباح * وتذكرت الجوى والصباح (١) * وساهرت النجوم وسامرت الهموم * والليل مستمر لا يبرح * وكواكبه لاتتقلقل ولا تتزحزح * وطال على الليل فهو سنة * فما ألم بعقلى غمض ولا سنة (٢)

وطال على الليل حتى كأنه * من الطول موصول به الدهر أجمع

وشرعت فى مسامرة القمر * ولم أجد عونا على السهاد والسهر *

---

(١) الصباح الاول أول النهار أو الفجر والثانى من الصباحة وهى الجمال
(٢) السنة بكسر السين النعاس

وأنشدت عند تراكم الاحزان والفكر * أخاطب الليل الطويل * مع ملازمة البكاء والعويل

يا ليل طل أولا تطل * لا بدلى أن أسهرك
لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

ولم أر ليلة أجور منها ولا أظلم * ولا أطول منها ولا أعتم * كأنها من الطول حرون أدهم * وأنا بها مصاب إذهم بي ماهم

غابوا فلم أدر ماألاقى * مس من الوجد ام جنون
ليلى لا يبتغى حراكا * كأنه أدهم حرون

ولم أشك أن الدهر كله ليس يبرح * وأن كواكبه مستمرة لا تتنقل ولا تتزحزح * وأن الصبح قد مات لا يتنفس ولا يتوضح * وأن النهار قد تاه فماله إلى الاستدلال مطمع ولا مطمح

خليلى ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل النهار المستنير طريقه * أم لدهر ليل كله ليس يبرح

أطلب النوم برفق فيأبى مصاحبه الاجفان * وتدخل العين عليه فى الصلح وما هى عنده بانسان * فانه عدم صحة القلب وطيب العيش على السفر * وامتنع من خيط الاجفان وان كانت الاهداب كالابر

قلبى وعقلى وطيب العيش بعدكم * ثلاثة للنوى أمسوا على السفر
أجفان عينى ما خيطت على سنة * هذا وقد غدت الاهداب كالابر

أسترسل الطيف وذاك محال * لان الطيف على النوم

محال[1]*ومن عدم الكرى كيف يأنس بالطيف * ومن سلب المنام فأنى يطرقه للطيف ضيف * فلا أعاتب الاحباب فى منع خيالهم الناشز[2] * لعلمى ماين الكرى وعينى من المفاوز * فلقد بعد عهدها بلذيذ المنام وطيب الكرى * ولقد نفى ماهمل منها على الخدين وجرى

أأحبابنا أن فرق الدهر بيننا * وغيركم من بعد قربكم البعد
فلا تبعثوا طيف الخيال مسلما * فما لجفونى بالكرى بعدكم عهد[3]

فلقد كفانى حزنا عدم اللذات إلا بالفكر والتخييل * وعدم استزارة العين الطيف لاشتغالها بالدمع المديد والسهر الطويل * ولو حصل نوم وأتانى طيف لقاسيت منه الخطب الجليل * فقد حصل من الفراق أولا مامعنى من استزارة الطيف الكريم البخيل

كفى حزنا أن لا أراقب لمحة * ولا انظر اللذات الا تخيلا
ولا أستزير الطيف خوف فراقه * لما ذقت من طعم التفرق اولا
واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومازلت اعانى القلق والسهر * واكابد الاحزان والفكر * حتى برق عمود الصباح واعلن الداعى بحى على الفلاح * وظهرت تباشير الصبح الوسيم * وولى زنجى الليل وهو هزيم

---

(١) المحال الاول والمستحيل بمعنى وهو من الكلام ما عدل عن وجهه والمحال الثانى من أحال عليه بدينه والاسم من الحوالة (يعنى) انه يطلب ارسال الطيف وهو يعلم ان ذلك غير ممكن لأن الطيف محول على النوم ومسند اليه فلا يمكن ازدياد الطيف الا فى النوم ولا نوم (٢) الناشز العصى (٣) الاضافة فى طيف الخيال بيانية

فكأن الصباح فى الافق باز * والدجى بين مخلبيه غراب

فلما ارتفع ضوء النهار * ودمعى وصبرى قدسال وسار * مارأيت حسنا الاتوهمته الحبيب * ولامروعا إلا وخلته الرقيب * وأنا فى حالة تسر الحواسد والاعداء * وتسوء الاصدقاء والأوداء * كلما ذكرت الحبيب تنفست * وكلما فطنت للرقيب أوجست

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع (1)

نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

أتذكر الحبيب فاصرخ وأصيح * واستنجد الدموع فتسيل وتسيح * وصاحبي يلحانى ويردعنى * ويهددني بالملام ويصدعنى * أقول له لاتؤذنى بنصحك وعذلك * فيقول انى أحزن لثبوت جنك ووثوب عقلك * فأنشد وقلبى ذاهل وعقلى زائل

من منصفى من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لايخون

ان قلت مانصحك الا أذى * قال وماعشقك إلا جنون

فيقول نعم أنت مجنون فى معرفتى وفهمى * أوكما ورد حبك الشيء يصمى ويعمى (فقلت) ليس عجيبا جنون مثلى * وقد عدمت فؤادى وسلبت عقلى

هبونى قد جننت وضل عقلى * فهل عجب لمثلى أن يجنا

ونحن معاشر العشاق نرضى * بما فرض الغرام لنا وسنا

---

(1) البيتان لعبد الله بن الدمينة من قصيدته التى أولها

أقمت على زمان يوما وليلة * لانظر ماواشى أميمة صانع

اذا عبث الغرام بقلب صب * وأمسك لايحن فليس منا
نشدتك أيها اللاحى رويدا * فقد أزعجت قلبا مطمئنا (١)
أعيذك من صباباتى ووجدى * ومن قلقى اذا ما الليل جنا
هوى لو أن عذرة ادركته * لأنساها هوى قيس ولبنى

(فقال) لى صاحبى وهو يحاورني * وبالعذل والملام يبادرني * بالله ارجع عما انت فيه من الخيال والخبال * ولا تلحق ببطون الاودية ورؤوس الجبال (فقلت) دعنى بالله أيها الصاحب الصدوق * والناصح الشفوق * فانى اخشى طول مدة الفراق وبعدها * فياليتنى أراه نظرة وأموت بعدها

اليس عجيبا انى لاأراهم * وان زمانى بالفراق يفوت
فياليت ان الدهر جاد بقربهم * لعلى أراهم نظرة وأموت

فلقد ذهبت مقلتى من السهر والعبرات * واحترق قلبى بتصاعد الحنين والزفرات * وذاب فؤادى من لاعج الحب والغرام * وانتحل جسمى من تلاعب الضنى والسقام * فمالى سمير غير الهموم والفكر * ولاأنيس سوى الاحزان والسهر

سلوا دجى الليل عن حالى وأخبارى * يحكى لكم سهرى فيها وافكارى
ترى تعود ليالينا بذى سلم * على اقضى لباناتي واوطارى
روحى الفداء لمن باتت حواسده * تثنى على حسنه العارى من العار

(١) نشدتك الله أى سألتك به . نشده من باب نصر . واللاحى اللائم

تجمع الحسن فيه وهو منفرد * بين البرية جل الخالق البارى

(فقال) لى صاحبى قد رأينا من عشق وكتم * واجب وتهتك وهوى وألم * أنت قد اتعبت نفسك فيما لا يفيدك * واردت من لا يحبك ولا يريدك * فان كان بك جنون تخبرني * اوعشق فلا تكاتم عنى (فقلت) انى لأحسدوا لله من يجتمع شمله بأحبابه * ويرقد مع محبوبه بعد اشعاله شموعه واغلاق بابه * حتى ترانى احسد الثريا فى السما * واتواجد على الزمان اذ جعل وجوده عدما

خليلى اني للثريا لحاسد * واني على ريب الزمان لواجد[1]

ايبقى جميعا شملها وهى ستة * وافقد من احببته وهو واحد

ومازلت علي هذا الحال * من تواتر الحرق والبلبال * وقطع مسافة الليالى والايام * واستبطاء ساعاتها التى هى أطول من القرون فضلا عن الاعوام * اقاسى كل ساعة اطول من حول * وقتل نفسى حتى عدمت القرة والحول[2] * وانتظر رحلة الايام والليالى * وانا على اعظم من حر المقالى[3] * الى ان دنا وقت الميعاد * واظل[4] يومه اوكاد * فبت تلك الليلة التى تسفر عن صباحه الانور * وتتنفس من نفحات الحبيب عن نفحات المسك الاذفر * اراقب النجوم وهى واقفة لا تتقلقل *

(١) أتواجد أحنق (٢) الحول الاول السنة والثانى الحيلة (٣) المقالى جمع المقلى . قلاه أنضجه فى المقلى (٤) وأظل يومه أوكاد . من قولهم أظلنى الشيء غشينى أو دنا منى حتى ألقى على ظله والاسم الظل يريد حتى دنا منى اليوم أوكاد

واشاهد الفلك وقد عطل من المدار فلا يتخاخل [١] * وكأن النجوم عيون طرقها الارق والسهاد * وجفا اجفانها لذيذ الكرى والرقاد * أوكأنها مجتمعة ثابتة لا يزول جمعها وثباتها * وروضة أريضة [٢] لا يصوح زهرها ونباتها * فأى كوكب نظرت اليه وجدته مقيما لا يبرح عن مكانه * ومستقرا لا يغرب ولا يعزب عن إخوانه * والثريا كأنها راحة تشبر [٣] الظلام * لا يزول بقيسها مسافة شهور بل أعوام * فكيف يرجى لليل العاشق زوال * وكيف لا يتمنى الوامق اشراق الغزالة [٤] لميعاد الغزال

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل لى أم تعرضا
عجبت لليل بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

مع علمى بأن الصبح مات بليله الذى أظلم فيه وعسعس [٥] * وتحقق بأنه لوكان فى قيد الحياة لكان تنفس [٦]

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحهم قد ماتا [٧]

فبعدا لها من ليلة طال امد عمرها * وأربت على شهرها وحولها

---

(١) تخاخل الثوب بلى ورق يريد لا تزول (٢) أريضة زكية بينة قال أبو عمر الأرض الاريضة المعجبة للعين (٣) تشبر الظلام تقدره (٤) الغزالة الشمس (٥) أجمع المفسرون على أن عسعس فى قوله تعالى (والليل اذا عسعس) بمعنى أدبر يريد أن الصبح أدبر وهلك فلا رجعة له وقال بعضهم عسعس الليل أقبل ظلامه فيكون فاعل عسعس عائداً على الليل (٦) تنفس الصبح تبلج (٧) بنات نعش سبعة كواكب أربعة منها نعش وثلاث بنات

ودهرها * وشكرا لها إذا كان يومها موعدا للوصال والهنا * وسلما إلى بلوغ الآمال والمنى * فلم أزل أحييها وجدا وغراما * وتميتني تذكرا وهياما * الى أن كاد الظلام يشف لونه الحالك * ويبتسم ثغر صبحه الضاحك * وبدت أعلام الصباح منشورة الرايات * وسطعت أنوار النهار منصورة الآيات * وأقبل الفجر مؤيدا منصورا * وولى الليل مهزوما مكسورا * وبدا حاجب الغزالة مشرق الانوار * وفرق من شعاعها سبائك الذهب على سائر الاشجار

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

(فرجعت) أسابق النظر * الى ميعاد ذلك القمر * واستصحبت معى ذلك الصديق الصادق * والرفيق المرافق[1] (فوصلنا) الى ميعاد جالب الارق والهموم * وفاضح شمس النهار ولا أرضى أقول القمر فضلا عن النجوم * وأنا أرسب فى الفكر وأعوم وقلبى يتململ و يتقلقل ويقعد فى الوجد ويقوم * فوصلنا الى ذلك المنتزه[2] الانيق والمحل الذى هو باللطافة والمحاسن خليق * فما وقفنا على عين ولا أثر * ولا ظفرنا بحس ولا خبر * بل الماء يجرى ويتوجع بخريره * والنواعير تئن لنواح بلبله وشحروره * فاجري من النواحى نوح النواعير دمعى * فاطرقت للماء طرفى وأصغيت للدولاب سمعى * وانا اتعجب من تلك

---

(١) لعلها الموافق (٢) قال فى القاموس واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح * على أنه لو صح فهى المتنزه بتقديم التاء

الناعورة المذعورة الحائرة * وانظر الماء فوق كتفها وهى عليه دائرة * فعلمت انها تئن من لوعة الفراق لما فقدت قرينها * فجعلت تعلل قلبها بلقائه وتدير فى الماء عيونها * كأنها تذكرت حالها وهى غصن يفهم التمايل ويدري * فغدت كلها عيونا على عهد ايام الصبا تجرى * فصارت تعد من العجائب اذ تسير من غير مفارقة وضعها * اذلا رأس فى جسدها وقلبها ظاهر وعيونها فى اضلعها

وناعورة قد ضاعفت بنواحها * نواحي واجرت مقلتى دموعها
وقد ضعفت مما تئن فقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

والحمائم تبكى على موائس الاغصان فى الرياض * وتذري دموع الحمول فى تلك الخمائل والغياض * فقاسمتنى الغضا قومه شوهت خلقى وانشائى * فجلعت غصونه فى راحتيها وجمره فى قلبى واحشائى

أحمامة الوادى بمنعرج اللوى * ان كنت مسعدة الكئيب فرجعى
فلقد تقاسمنا الغضا فغصونه * فى راحتيك وجمره فى أضلعي

ولم أزل أخاطبها بلسان الشكوى والغرام * وأغامزها بعين البلوى والهيام * وهى تطارحنى الاحزان والاشجان * وتأتى من الالحان بالفنون على الافنان * فخاطبتها بلسان حالى الحالى * وأنشدتها بلسان قالى (1) أتعرض للقالى

أحمامة فوق الاراكة بيني * بحياة من أبكاك ما أبكاك
اما انا فبكيت من الم الجوى * وفراق من اهوى فأنت كذاك

(1) قالى * يريد قولى . والقالى المبغض المتباعد

وناحت فنحت بنواحها على الغصون * وأحزنتها بتصاعد الزفرات وفيض الشؤون * فصار بيني وبينها نسبة بالبكاء والأحزان * وودوإخاء اذ كل منا يبكى على الاغصان (١)

رب ورقاء هتوف فى الضحى * ذات شجو صدحت فى فنن (٢)
ذكرت الفا ودهرا ماضيا * فبكت حزنا فهاجت حزنى
فبكائى ربما ارقها * وبكاها ربما ارقنى
ولقد تشكو فما أفهمها * ولقد أشكوا فما تفهمنى
غير أنى بالجوى أعرفها * وهى أيضا بالجوى تعرفنى
أتراها بالبكا مولعة * أم سقاها البين ماجرعنى

فجلسنا ننتظر الوعد من الحبيب * وقلبى قد تقطع من البكاء والنحيب (فقال) لى صاحبى أنا أتوجه الى محبوبك لتقديم قصتك * وأجتهد فى تفريج همك ان شاء الله وغصتك * وأستنجزه الوفاء بالميعاد * والله المستعان وعليه الاعتماد * وآتيك به أو بالجواب * وأفوز بالاجر فى الجمع بين الاحباب (فقلت) لمثل هذا اليوم ادخرتك صاحبا وحميما * ولمثل هذا اليوم اعددتك ظاعنا ومقيما * فتوجه اليه وبالغ فى الخطاب * ولطف الالفاظ وسدد الجواب * وتوسل الى المراد والمرام فمثلك لا يدل على صواب * واستمنحه الوفاء فهو غاية المقصود والامل * وأوجز فى المقال فحبيبى عنده ملل * وانت بحمد الله ذو فطنة ورتبة * وصاحب توسل ودربه

(١) يريد أن الطير يبكى على أغصان الشجر وهو يبكى على المشبه بالغصن
(٢) يروى هتفت بدل صدحت

فيارسولى الى من لاابوح به * ان المهمات فيها يعرف الرجل
بلغ سلامى وبالغ فى الخطاب له * وقبل الارض عنى عند ماتصل
بالله عرفه عني ان خلوت به * ولاتطل لحبيبي عنده ملل
وتلك اعظم حاجاتى اليك فان * تنجح فما خاب فيك القصد والامل
ولم ازل فى اموري كلما عرضت * على اهتمامك بعد الله اتكل
فالناس بالناس والدنيا مكافأة * والخير يذكر والاخبار تنتقل

(فتوجه) صاحبى الى المحبوب بالرسالة * وتركنى فى البستان على أسوأ حاله * فمشيت فى جوانب ذلك الروض الاريض * وأنا فى الهم الطويل العريض * فما نظرت نرجسا الا وقلت هذا طرف الحبيب الناعس * ولا رأيت غصنا الا ذكرت قده المائد المائس * ولا ورداً الا قطعت بأنه خده الناعم * ولا أقحوانا الا وتحققت بأنه ثغره الباسم * وبقيت أجول فى تلك العراص * وأطلب الخلاص ولات حين مناص * وألوم نفسى تارة وأعذرها أخرى * وأستنصر الصبر فلا أبصر له نصرا * وكلما ذكرت الحبيب ذبت مكانى * وكلما عاينت مكانه تضاعفت أحزانى * وسال دمعى فى تلك العراص والرحاب * وجاد بما لم يكن فى حساب السحاب * فكففته تجلداً فما كف * وسمته وقوفا فوقع وما قف [1] * وأردت الانكار فخالف واعترف * وتكرم وهو سائل [2] حتى كانه من لجة البحر اغترف

---

(١) قف امتنع أو يبس (٢) من سال يسيل وان كانت المقابلة توهم أنه من سأل يسأل

أرى آثارهم فاذوب شوقا * وأسكب فى مواضعهم دموعى
وأسأل من بفرقتهم رماني * يمن على يوما بالرجوع

كل ذلك وأنا ذاهب ذائب * ونادم ونادب : متضلع من ماء جفنى الساكب * متطلع الى سرعة عود الصاحب * لا أستقر بمكان واحد * ولا أظفر بمساعف ولا مساعد * بل تارة أستكن وأتجلد * وتارة أنشد وأتنهد

ان تم ما جاء رسولى به * غفرت ما اسلفه الدهر
وان وفى الحب بميعاده * وبات عندى وله الامر
سمحت بالنفس جزاء له * اذ لا يؤدى حقه الشكر

وأنا فى ذلك على أعظم من حر النار * من طول التطلع والترقب والانتظار * وأستنشق ريح الصبا من جهة المحبوب * وأستبشر بريحه مع ريحه حتى كأنى يعقوب * وأسر حتى بالطيف من رؤياه * وأقنع حتى بالريح من هواه

أستودع الله أحبابي الذين نأوا * وخلفوا فىّ نيران التباريح
أستنشق الريح من تلقاء كاظمة * لقد قنعت من الاحباب بالريح

كل هذا وعينى تجود وتجول * وأنا متطلع الى عود الرسول (واذا) به قد عاد فريدا * كئيباً وحيداً (فحين) رأيته على هذا الحال * ليس معه بدر ولا غزال وقعت على الأرض من قامتي * وقامت فى تلك الساعة قيامتي * لكن طاب قلبى لما بدا متبسما * وسكن كربى لما بدأ مترنما (فقمت) مبادراً له واليه * وعكفت على تقبيل كفيه وعينيه (وقلت) له بين لى حقيقة أمرك * ودلني على خبرك وخبرك * أين الحبيب أخبر

عهدك به قريب * واشف قلباً أقلقه الوجد وجفناً أغلقه البكاء والنحيب

من رآني قبلت عين رسولي * ظن ان الرسول جاء بسولي
ان عيناً قد أبصرت ذلك الوجه * أحق العيون بالتقبيل

نبئني ما الخبر * وأين النجم بل القمر * وما فعل البدر وغصن النقا * ومتى يدنو المزار ويحصل اللقا * وماهذا الوجوم الذي يعتريك * وما الذي يضحكك تارة وتارة يبكيك * قل ولا تكتم فتيلا ولا نقيرا[1] * وأعد حديثك وكرره تكريرا

كرر حديثك قد تضوع ريحه * مسكا وطاب على السماع صحيحه
وأعده حتى يشتفي من طيبه * مضنى الفؤاد وصبه وجريحه
وحديثك المرفوع صله بمسمعي * فعساه من ألم الفراق يريحه
وعساه يقطع مرسلا من أدمعي * ويزيل معضل على ترجيحه
لو كنت تروي مرسلا من لوعتي * لرويت منه ما يطول شروحه
اني امرؤ في الحب فرد شأنه * قد شفني وأضرني تبريحه
أخني على الحب حتى انني * لخليله وذبيحه وكليمه

(فقال) توجهت من عندك الى مكانه * فوجدته جالساً بين اخوانه * وأترابه الاتراك * الناصبين لمثلك شرك الاشراك * فعلم اني رسول منك اليه * فرمقني بطرفه وغمزني بعينيه * ففهمت المقصود فجلست ساكتاً * وبقيت في تلك المحاسن واللطافة باهتا * فلم أتمكن من الكلام

(١) يريد لا تكتم عني حتى أصغر شيء وأصل الفتيل ما يكون في شق النواة وقيل هو ما يفتل بين الاصبعين من الوسخ والنقير النقرة التي في ظهر النواه

سوى بالحواجب والعيون * ولم أحادثه سوى باشارة الاصابع وغمز الجفون

غمزته بناظرى * ولم أفه بكلمه
أجابنى حاجبه * لكن بنون العظمه

(ولم) أزل على هذه الحالة مقيما هنالك * وأنا مجتهد على العود فيما فيه منالك وهنالك * فالتفت اليه أترابه الاتراك * الناصبون لمثلك الاشراك * وقالوا لابد من استصحابك معنا هذا النهار * والتنزه بالسرحة الى المساء والمسار * فقال أجدنى لا نشاط لى فى الركوب اليوم * ولا غرض لى فى السرحة أيها القوم * فقالوا والله لابد من الركوب معنا هذه الساعة * فانهض ولا تتوان فيد الله مع الجماعة * فأنت واصل حبلنا * وجامع شملنا * وأنت بدرنا ونحن كواكبك * وأنت أعيننا ونحن حواجبك * فان سرحت شرحت بطلعتك الصدور * وان تخلفت كدرت الورود والصدور * فاجبرنا معشر المماليك أيها المالك * فوحياة رأسك لابد من ذلك * فلم يمكنه الا إجابة سؤالهم بالقبول * وأجراهم منه على خلق ألطف من نسمات القبول * فشد حياصته[1] وقلبى يتقطع ويذوب * وقدم اليه جواده الاشقر للركوب * وتحين غفلتهم وأتانى * وحيانى فاحيانى * فقال مرحبا بك وأهلا * ورعيالك وسهلا * فتعظيمك واجب لمرسلك المتيم * واكرامك متعين ولاجل عين ألف عين تكرم * سلم عليه من جهتى أبلغ السلام * وعرفه ماعندى من الشوق والغرام * وانى لا أختار

(١) الحياصة وأصلها الحواصة سير يشد به حزام السرج

عنه عوضا وبديلا * ولاأتخذ غيره صديقا وخليلا* فجزاؤه أن يراعى جانبه ويواصل * ويناضل عدوه ويفاضل *فهو فينامحب ونحن فيه أحب * وما جزاء من يحب الا أن يحب * لا ننسى محافظته على العهد والوداد * ولذلك لاأخلف الميعاد * فدعه ينتظر بالمكان المذكور فانا أحرص منه على الاتيان والحضور * وليكن المكان خاليامن الاكدار * صافيا من الرقباء والاغيار * لايشير الياسمين المنثور باصبع وكف * ولاير مقناسوى عيون النرجس المضعف * ولتكن أنت معه فى هذا المكان * فنعم الرجل أنت أيها الانسان * وانى أتوجه من البستان الى داره * وأرضيه جهدى كايثاره *وأفوز بمنادمته ومفاكهته * وأشاركه فى شرابه وفاكهته * وأسقيه طورا بفمى وطورا بالاقداح * وأشفيه بسقام عيونى المراض الصحاح * وأحييه بمشاهدة جبينى المشرق الوضاح * وأبيت فى صدره معانق من العشاء الى الصباح * فهل يجب على أكثر مما ذكرت * وهل يطلب منى فوق ماأشرت (فقلت)له لقد جاوزت الحدود فى الاوصاف * وأنصفت غاية الانصاف * فلم أملك اعادة الجواب * ولا أطلت له بعدها فى الخطاب * وسبقت اليك فوح النسيم (١) * لابشرك بطلوع الشمس فى الليل البهيم * فقم على قدمبك * وتلق بالترحاب من قدم عليك * وأنشد الابيات والامثال * فى وصف هذا الحال

أهلا وسهلا بك من زائر * يخجل نور القمر الباهر

(١) قوله فوح النسيم يريد مر النسيم وهبوبه أى مسرى

أهلا وسهلا بك من مؤنس * ينظر عن طرف الرشا النافر
رددت بالقرب زمان الصبا * وطيب عيشى السالف الناضر
وعيشة ولت على حاجر * حيا الحيا السكب ربى حاجر

فكدت أطير فرحا وسرورا * ولولم أتماسك لصرت مثلا مشهورا * وتضاعفت محبتى لصديق * وصار أنفس من نفسى فضلا عن شقيق * وعذب كلامه فى مسمعى وحلا * وزال عن القلب الهم وجلا * وهزنى وأطربنى بطيب حديثه * وأنسانى مالقيت من قديم النصب وحديثه

رسول الرضا أهلا وسهلا ومرحبا * حديثك ما أحلاه عندى وأطيبا [1]
ويامحسنا قد جاء من عند محسن * وياطيبا أهدى من القول طيبا
وياحاملا ممن أحب سلامه * عليك سلام الله ماهبت الصبا
لقد سرنى ماقد سمعت من الرضا * وقد هزني ذاك الحديث وأطربا
وبشرت باليوم الذى فيه نلتقى * ألا أنه يوم يكون له نبا
سيكفيك من ذاك المسمى اشارة * ودعه مصونا بالجمال محجبا
أشرلى بوصف واحد من صفاته * تكن مثل من سمي وكنى ولقبا

(فقال) لى أن سيوف المحبة تكلم القلب ولا تؤلم * وقد سررت بهذا الكلام ومن سر فليولم [2] * فاخلع لى ماعليك بشارة بالفرح والفرج * فقد أتيتك بميعاد سالب القلب والمهج (فقلت) لهو لله لا أرضى

(١) الابيات لابى الفضل زهير وفى الديوان فى البيت الثالث بدل (وياحاملا) ويا مهديا ويروى البيت الثالث والثانى على التقديم والتأخير (٢) من أولم صنع الوليمة وأصلها طعام العرس

بخلع قلبي عليك باجمعه * اذبه جعلتنى أهلا لمن لم أكن أهلا لموقعه
اهلا بمن لم أكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

(هذا) وقد كنت اجتهد فى إصلاح منزلى جهد الطاعة * ولم يصدنى عن قصد البيت والقاعة قاعة [1] * وهيأت جميع المشروب والمشموم * والظاهر والمكتوم * وحرصت على تحصيل الموجود والمعدوم * فبينما نحن فى تلك الحالة التى هى بالوعد هنية * والعيشة التى هى بالانتظار رضية * واذا بجانب الروض قد أشرق بالانوار وتمايلت عجبا أغصان الاشجار * وغنت صوادح الاطيار * فرمقنا ننظر السبب الموجب لذلك * وماهذا العبير الذى ضوع المسالك * فاذا الحبيب قد صدق فى الميعاد * وأقبل يتمايل بقده المعياد * وبدا يرفل فى حلل الملاحة * وشمس وجهه مشرقة فى صباح الصباحة * والمحاسن تنشر فى غلائله [2] * والملاحة تقطر من شمائله (فحين) رأيته وهو مقبل * قلت لدمع السرور اهمل أيها الدمع ولاتمهل

بكيت وقد بدا لى من بعيد * يلوح بوجنتيه الجلنار
ففى خديه نار وهى ماء * وفى عينى ماء وهى نار

فدفع الى من الفرح دفعات * وصرت فى الاحياء بعد ان كنت فى الاموات وعاد القلب في مستقره بعد القروح * وطاب الجسد وطار

---

(١) هكذا بالاصل وليس لها معنى (٢) الغلائل جمع الغلالة بالكسر شعار يلبس تحت الثوب

حين عادت فيه الروح *وقمت مبادرا له واليه * واضعا حر وجهي مكان قدميه

وقمت أفرش خدى فى الطريق له * ذلا وأسحب أذيالى على الأثر

فهمت عند مشاهدة جماله * وقد شغلنى حسنه عن السلام عليه وسؤاله * فوقعت مبهوتا ذاهلا * وقد أصبح دمعى باقلا [1] *فابتدرنى بالترحيب والتسليم * وقابلنى بالتبجيل والتعظيم

وحيا ثم لاحظنى دلالا * بوجه غزالة وعيون ريم
غزال كالصريم له جبين * يهيم بحبة قلب الصريم [2]
له قلب كأن الصخر منه * ويحسد خصره من النسيم
بديع ملاحة يصبو اليه * بأول لمحة قلب الحليم
له خصر وطرف مثل جسمى * سقيم فى سقيم فى سقيم

ثم رمقنى بطرفه الصحيح السقيم * وابتسم عن ثغر يفضح الدر النظيم * ثم شرع فى تقبيل يدى بالاشارة * فسلبنى بذلك فصيح اللفظ والعبارة (فقلت) لقد أضحى غرامى فيك لى غريما * وأمسى ملبى وحزنى ظاعنا ومقيما

غرامى فيك قد أضحى غريمى * وهجرك والتجنى مستطاب
كذا بلوى ملالك لا لذنب * وقولك ساعة التوديع طابوا [3]

(ثم) قال بالله كيف وجدت نفسك بعدنا * وهل عندك من الشوق

---

(١) يريد عييا (٢) الصريم الأولى الصبح والثانية المقطوع المجدود
(٣) لعلها كلمة وداع فارسية

كما عندنا * وهل أحسنت تلقينا * وليتك لقيت من الصبابة كما لقينا * وكيف صرت حين قدمنا * وهل عدم الجلد كما عدمنا * أم قتلك الوجد فأخرس لسانك * وغلبك الهوى فسلبك بيانك * خبرني عن أصل ضمائرك * واشرح لي كنه سرائرك فأنشدت وقلبي طائر * وعقلي حائم وحائر * ووجدي جائد وجائر * وطرفي ساهد وساهر ودمعي سائل وسائر

لم أنسه لما بدا متمايلا * يهتز من طيب الصبا ويقول
ماذا لقيت من الجوى فأجبته * في قصتي طول وأنت ملول

فتبسم عن نظيم الدر المكنون * ورمقني بعين تحار فيها العيون * وقال والله ان غيرك لا يراح ولا يراد ولا يرام * وأنت عندي تطاع ولا تضار ولا تضام * ولمثل ودك لا يقاس ولا يقال ولا يقام * ولمثل سرك لا يذاع ولا يزال [1] ولا يذام * فان صدقت قول الوشاة فماذا منك بجميل * وان زعمت باني مللت حديثك فبالله قل لي الى من أميل

صدقتم قول الوشاة وقد مضى * في حبكم عمري وفي تكذيبها
وزعمتم أني أمل حديثكم * من ذا يمل من الحياة وطيبها

أما أنا فشوقي اليك متزايد * ونفسي لبعدك متصاعد * ولومي بعد بعدك طويل * ونومي من بعد غيبتك قليل * ما أتيتك الا وقد ضاق صدري من الفراق * وشئمت من سيل الدمع المهراق * فلو علمت مابي لعجلت نحوي المسير والسباق * وأتيتني كسرعة البرق ويحل هنا ذكر البراق

(١) يزال من زاله بمعنى فارقه ولا يذام لا يذم

فديتاك لولا الحب كنت فديتنى * ولـكن بسحر المقلتين رميتنى
أتيتك لما ضاق صدرى من الهوى * ولو كنت تدرى حالتى لرحمتنى

كيف صبرك بعد فراقى * وكيف حالك بعد ركوبى وانطلاقى * وهل رزقت مناما هجرناه * أو عرفت قراراً أنكرناه * وهذا الجملة والتفصيل * أولى عندى من التطويل * فان أنكرت دعواى فاستفت قلبك فهو عارف * أو استقلات دمعا فشاهد دمعك الدافق الذارف * وهاأنا تحت أوامرك ونواهيك * فاحكم فديتك حكم المالك على المماليك* لكن أصدقنى هل حلت عن مودتك الصافية* وتغيرت عن محبتك الوافرة الوافية * وهل رجعت عن محبتك الصادقة * وهل قامت ألسنة السلو اليك ناطقة (فقلت) وقد أزعجنى بهذا الكلام * وذاد عن جفنى لذيذ المنام

لا والذى سمك السماء بأمره * قسما وتكفى هذه الاقسام
ماحلت عن ذاك الوداد وانه * باق له بعد الممات دوام

(فقال) اتبع الحق فى هذا المقام والمقال * ولا تكن ممن حال عن ذالحال فى الحال * وقم بصبابات الهوى فى * لترشف كؤس الراح من فى * ولا يصدنك عن ذاك هجر وصدود * واصعد للجو فى الجوى [1] لتنال السعود فى الصعود (فقلت) لا تتعب نفسك فى الوصية بالغرام* فاننى قائم فى الصبابة والهيام أتم قيام * فان لم أقم بذلك * فلا حظيت ببرد ثنا ياك وبرد ثنائك * ولا فزت ببردرضابك وحلو رضائك

ان لم أقم بصبابات الهوى فيكا * فلا ارتشفت كؤس الراح من فيكا

---

(١) الجوى الحرقة وشدة الوجد

فيامريق دمى من غير ماسبب * هاقد رضيت به ان كان يرضيكا
لم يبق هجرك لى صبرا ولا جلداً * ولم يدع فى كتمانا تجنيكا
فان أضلك منه ليل طرته * فصبح غرته الوضاح يهديكا
يميل غصن النقا ان مال منعطفا * وان رنا لفتات الظبى يعطيكا
ياثغره كان دمعى أبيضا يققا[1] * فبدلته يواقيتا لاليكا
وأنت ياخصره أعديت سقمك بى * حقاً لقد صرت بالى الجسم منهوكا
وبت تلدغ ياثعبان طرته * قلبى فياليت انى بت حاويكا
يافتنة لو وقاني الحب وقعتها * ما كان سرى بعد الصون منهتكا
فلا تسلنى عن وجدى وعن قلقى * بل سائل الدمع ان الدمع ينبيكا
هذى دموعى عن حالى مترجمة * وهذه ألسن الشكوى تناجيكا

(فقال) صدقت أيها الصب الوامق * والمحب الصادق * لكن مع وجود المحبوب تسرع القلوب في توددها وتقربها * وفى غيبته ترجع الى تنفرها وتجنبها * وهذه عادة القلوب فى تعنتها وتعتبها * وما سميت القلوب قلوبا الا لتقلبها (فقلت) له لسانى يقصر عن محاجتك عند حضورك * ويطول فى غيبتك بما أنت عليه من أمورك * فلا يمكننى أن أتظلم وأنت غير مظلوم * والله يعلم الظاهر من المكتوم

حججي عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فانني مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

(فقال)تزعم انك مظلوم وأنا ظالمتك * وأنك مسلوب وأنا سلبتك *

---

(١) اليقق جمار النخل والقطن يريد كاليقق

وتدعى انى خال من الاشجان والهموم * وناءعن الاحزان والوجوم * وقد حلفت لك ألف يمين * وتجعلني في اليمين أمين[1] * فان كنت عندك غير صدوق * وممن لا ترعى لديه الحقوق * رجعت من حيث أتيت * ولا يضمني واياك ورب البيت بيت * فامدد يدك أقبلها للوداع * واذيقك حرارة الفراق بعد لذة هذا الاجتماع * ولا تطمع مني بعدها في الوصال (فقلت) وقد تقطع قلبي بهذا المقال * بالله لا تمل على مع الزمان الغادر * ولا ترم بسهم بعادك فؤادي الطائر * فلقد عجبت من صدودك والجفاء * من بعد ذاك الوداد والوفاء * حاشا شمائلك اللطيفة ان ترى على عونا * وحاشا أخلاقك الشريفة أن تكون لونا وتصير لونا

انى لأعجب من صدودك والجفا * من بعد ذاك القرب والايناس
حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى * عونا على مع الزمان القاسى

(فقال) والله لقد ندمت على حضوري اليك * وعلى انجاز الوعد بالعطف عليك * لان باطنك غير سليم * وحبك غير ثابت ومقيم (فقلت) لا تنسبني الى عدم المودة واستفت قلبك * فلا تتهمني فوالله لا أسلو هواك وحبك * فياليت قلبك مثل عطفك[2] * ويا ليت ودك مثل ردفك * فبالله ارحمني فقد صرت من الشفا على شفا * ولا تبدل حلاوة الود بمر الجفا

لوكان قلبك مثل عطفك لينا * ماكنت أقنع من وصالك بالمنى
لكن خصرك مثل جسمي ناحل * وكلاهما متحالفان على الضنى

---

(١) من مان يمين كذب وانحرف عن الحق (٢) يريد ليناً مثل عطفك

ياهاجرى ظلما بغير جناية * ماهكذا شرط المحبة بيننا
قيدت طرفى مذ تسلسل دمعه * وحبست نومى فالاسير اذا أنا
لاتحم قدك عن حنايا أضلعى * كم لذة بين الحنا والمنحنى
علمتني كيف الغرام ولم أكن * أهوى الهوى فرأيت صعبا هينا

(فقال) يهون ان شاء الله ولا يصعب * ويرغب القلب فى الاجتماع ولا يعزب ويطلع بدر اللقاء فى افق الوصال ولا يغرب * فلم أعاتبك الا من باب اللعب والمجون * وان اتخذت صاحبا سواك اني اذا لمجنون * فوالله ليس فى قلبي محبة لسواك * وان أظلمت بالفراق صباحك لاشرقن بالوصال مساك * وقد كابدت أيها الصب الصبابة * ولم أصرح وعندى من الصبر لبابة

ألفنا التجافى واطمأنت قلوبنا * عليه وهذا آخر العهد بالصبر

(فلما) سمعت در كلامه * وفهمت رونق نظامه * زادو جدى وغرامى * وتضاعف حنيني وهيامى * وكدت أطير من الفرح والسرور * وكاد فؤادى يلحق بملحقات الطيور (فقلت) ياقرة العين الساهرة * وقرار القلوب النافرة * شفيت نفسا أشرفت على التلف * وانعشت قلبا أودى به واردالاسف * ورفعت أملا كان فى الحضيض فنال الشرف * وأحييت روحا أماتها الهجر والصدود * ونفسا لازمها الهم فلا يجوز ان يجور عليها ولا يجود * فاستدركت مابقى من رمقها * وخلصتها من لوعاتها وحرقها * وسقيتها فعادت مخضرة الاوراق يانعة الازهار * متمايلة بنسمات الوصال وقرب المزار

لما رأيت الوجد قد شفنى * وخاننى من بعدك الصبر
مننت بالوصل على مغرم * ذاب اشتياقا فلك الاجر

(فقال) خلنا من زخرف الاقوال * فلك المنة علينا فى جميع الاحوال * وقم بنا الى الدار * وأخلها من الرقباء والاغيار * وحظي فى ذلك أوفى وأوفر * ونصيبى منه أقوى وأكثر * فاستعد لوصالى * فنعم البدل أنا من خيالى : فقد تباج الليل الدامس [1] * وابتسم ثغر الدهر العابس * وحضر الحبيب * وغاب الرقيب وقهقهة العيش بعد القطوب * ولم تبق حاجة فى نفس يعقوب * فقم بنا فدتك النفس * فقد أقبل السعد وولى العكس (فأمرت) صاحبى بالتوجه الى لدار لترويق العقار وتزويق العقار [2] * ومشيت أنا والحبيب معا * والسعد قد أقبل نحوى وسعى * فوصلنا الى المنزل وقت الغروب وقد زال ماعلى القلب من ألوان الكروب * فأضاء الأفق من سنا نوره * وسلب الليل الداس ديجورة

فوالله ماأدرى أأحلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع [3]

(فلما) رأيت المحبوب قد حصل * وخضاب الفراق قد نصل * بكيت بدمع أجراه الفرح والجذل * وأطلقه السرور فسح وهمل (فقال) ماهذا

---

(١) الليل الدامس المظلم (٢) العقار الاول الخمر والثانى متاع الدار

(٣) البيت لأبى تمام من قصيدته التى يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى وأولها

أما أنه لولا الخليط المودع * وربع عفا منه مصيف ومربع

البكاء والنحيب وقد عالج الداء الطبيب * وغاب العاذل والرقيب * وواصل المحب الحبيب

فاجبته لما رأيتك زائرى * وسمحت لى بعد النوى بتدانى
طفح السرور على حتى انه * من عظم ماقد سرنى أبكانى

فدخلت أمامه الدار * ونعمت عيشا بالجار * وكدت ألم فى المساء بالمسار * حتى سئمت درك الامانى والاوطار * فجزيته خيرا اذ جبرني بمزاره * وبقيت أقبل يده وأمسح خدى بسقيط غباره * وبهت فى لطفه الذى عليه منه اغارني * ونوه بذكرى والا فمن أنا حتى تعنى وزارنى

جزى الله بعض الناس ماهو أهله * وحياه عنى كلما هبت الصبا
حبيبا لاجلى قد تعنى وزارنى * وما قيمتى حتى مشى وتعذبا
وفى لى بوعد مثله من وفى به * ومثلى فيه عاشق هام أو صبا
فانقذ عينا بالدموع غريقة * وخلص قلبا بالجفاء معذبا
سأشكر كل الشكر أحسان محسن * تحيل حتى زارنى وتسببا

(فاما) استقربه المجلس أعجبه تركيبه * وراقه أرجه وطيبه * فقدم لنا الاكل على خوان الاخوان * عليه من الاطعمة ألوان * وناهيك بخوان قد أعجز فى وصف ما عليه فصاحة الالسن * وجمع من المآكل ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين والاختصار أولى عندى من وصف الطعام * لان الاكل أقل من أن يطول فيه كلام * حتى إذا مد الليل رواقة * وألقى فى بحر الجوزاء أطواقه * أشعلنا شموع الكافور عليها من فتات العنبر حباب * فغدت تلك الشموع يبدو منها لعبير عنبرها

التهاب * وتشير الى الدجى بلسان أعمى فيشمر ذيله طلبا للذهاب

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت دوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

ثم أحضرت أنواع الرياحين * وتغاليت فى الجميع بين الورد والياسمين * وفرشنا سفر المدام * فتحدقت نحوها أحداق الأقداح بعد فتح المسام * ثم أتينا بسلاف أرق من الماء * وأجرى من الهواء * وأنور من اللهب * وأحسن من الذهب * وأسلس من النسيم * وأصفى من التسنيم *[1] وأشد أشراقا من الشمس قبل المغيب * وأرق من دين المحب وخصر الحبيب

أقول له قد رق عيشى والصبا * وخمرى وكاساتى وصوت الذى غنى
فقال الذى أهوى وخصرى نسيته * فقلت له والله قد جئت فى المعنى

وتضاعفت المسرات بوجود القرقف * وان كان رضاب الحبيب أشرق وأشرف لكن الجمع بينهما نهاية الارب * وغاية القصد والطلب * فلقد تقنعت بمر الصهباء وحلو الكلام * وتعصبت بحديث الحبيب وعتيق المدام

وانى من لذات دهرى لقانع * بحلو حديث أو بمر عتيق
هما ماهما لم يبق شىء سواهما * عتيق مدام أو حديث صديق

وأتينا بمناديل الشرب برسم مسح الصهباء عن الشفاه * ووضعنا

(١) التسنيم ماء بالجنة يجرى فوق الغرف

على ركبنا نفائس الفوط [١] على عادة الشرب والسقاه * وبعثنا أرواح الراح فى أجسام الاقداح وسال دم الزق فى تلك البواطى [٢] وساح * وزوجنا ابن الغيوم [٣] بابنة الكروم * فما دخلا حتى اتفقا على أطلاق الهموم * فياله مجلسا مافيه ساع سوى ساقى المدام * ولامع الاحباب سوى الريحان نمام

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم إلمام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمام

(ولم) يزل المحبوب يعاطينى الكاسات فأقصد مكان فيه من فيه * [٤] وقد رق وراقت فلم أدرأ هو فى المدام أم المدام فيه * واشتبه الامر على ووقعت فى الوسواس فكأنما كأس بلا خمر أو خمر بلا كأس

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشا كل الامر [٥]
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

(فقال) لى المحبوب وقد سقانى * ومن داء البعاد شفانى * اشرب ولا تخش من الا وزار * فقد أمكنك المحبوب وزار * وأطفىء بنار المدام فرط همك وكربك * ولا تخف من الاوزار فأوراق كرمها أكف تستغفر الله لذنبك

---

(١) الفوط كصرد ثياب تجلب من السند أو مآزر مخططة الواحدة فوطة بالضم أوهى لغة سندية اه قاموس (٢) البواطى جمع باطية آناء معرب (٣) ابن الغيوم ماء السماء وابنة الكروم الخمر (٤) يريد أقصد من فم الكاس مكان فم الحبيب (٥) البيتان للصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد

صل الراح بالراحات واغنم مسرة * باقداحها وأعكف على لذة الشرب
ولا تخش أوزارا فاوراق كرمها * أكف غدت تستغفر الله للذنب

(فقلت) له مرسومك أحق أن يطاع ويمتثل * وخدمتك أيها الملك لا تقابل بالملل (فقال) قد وجب حقك فما لنا من بدل * فتنقل [1] منى على المدام بالمزيدات القبل * فجعل يشرب ويسقيني فضله [2] * وأشكر بره العمم وفضله * فسكرت من ريقته ومدامه * ودهشت من غصن البان وقوامه * وسار غرامه فى سائرى * فما دار منادمى ومسامرى

تأمل من خلال الشرب وانظر * بعينك ماشربت وماسقانى
تجد شمس الضحى تدنوا بشمس * الى من الرحيق الخسروانى

فطبنا وطربنا * وشرهنا وشربنا * وغردت مناطق [3] طيورنا * وضعف الهم بمضاعفة سرورنا * وفاح العنبر بين أيدينا من المجامر * وراح النصب وهو علينا مخامر * وأقبلت طلائع السعد فى جحافل وعساكر * ودقت كاساتها لكؤوسنا ورقصنا بقلوبنا ورؤوسنا * واستنطقنا ألسن عيداننا [4] * وكدنا نطير ونحن فى مكاننا (فقال) لى المحبوب وهو ينادمني * وبعينيه الوقاح [5] يغازلنى * تمتع شبابك واقطعه من الطيبات نهبا * وان أتاك شيطان الهموم فاقذفه بانجم الصهبا

(١) تنقل على الشراب تعاطى النقل بفتح النون واسكان القاف
(٢) الفضلة البقية أو الفضلة نفس الخمر (٣) هكذا ولعلها نواطق
(٤) العيدان جمع العود وهو آلة الطرب المعروفة (٥) يريد بالوقاح القوية الشديدة الفعل

متع شبابك واستمتع بخدمته * فهو الحبيب اذا ماغاب لم يؤب
والهم للنفس شيطان يوسوسها فارجمه من انجم الصهباء بالشهب

(فقلت) له لا اخالفك فى اوامرك ولا اعصيها * وامضى الى آرائك فأقضيها ولا اقصيها * فلقد صار المدام عندى قريبا من رضابك * لامتثال اوامرك والرضا بك * لانى اهواك واهوى هواك * ولا اطلب غيرك ولا أريد سواك * واستشهدلك من الآى والاشعار * بانى ابيع العقار لحسو العقار

احسن الاشعار عندى انفد بالخمر الخمارا (١)
والذ الآى عندى * وترى الناس سكارى

ولم ازل آخذ ملآن واعيد فارغا * والقرقف والرضاب قد اسكرانى وبالغا لخبيث بأقسام ثلاثة فى ذلك المقام * ازالوا العقل فهاج القلب وهام * السرور الزائد والعشق القائد والتزام المدام

ماطيب وقتنا واهنا * والعاذل غائب وغافل (٢)
عشق ومسرة وسكر * والعقل ببعض ذاك ذاهل
والورد على الخدود غض * والنرجس فى العيون ذابل
والعيش كما احب صاف * والانس بمن احب كامل

فزحفنا على جيش الهموم بكاسات الراح * فأتى السرور لما هزم الشروراح * وتذكرت دوسها بالارجل فأخذت ثأرها من الرؤوس * وكادت تطير لولا شباك الحبب فى رؤوس الكؤوس

---

(١) أصل الخمار القصيف أراد السترِ (٢) القطعة من مجزوالدوبيت لأبى الفضل بهاء الدين زهير

راح زحفت على جيش الهموم بها * حتى كأن سنا الاكواب رايات
تجول حول أوانيها أشعتها * كأنما هي للكاسات كاسات
تذكرت عند قوم دوس أرجلهم * فاسترجعت من رؤوس القوم ثارات
كأنها في أكف الطائفين بها * نار تطوف بها في الارض جنات
من كل أغيد في دينار وجنته * توزعت في قلوب الناس حبات
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف * كأن أصداغه للطف واوات
ترنحت وهي في كفيه من طرب * حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
وبت أشرب من فيه وخمرته * شربا يشن به في العقل غارات
وينزل اللثم خديه فينشدها * (هي المنازل لي فيها علامات)
سقيا لتلك الليلات التي سلفت * كأنما العمر هاتيك الليلات

(ولم) نزل نميت الدنان ونحيي النفوس * ونزمر بالكؤوس ونرقص بالرؤوس * ونأخذ أوتار الهم بأوتار العود (١) * ونستنشق نسمات العنبر والعود * ويحاسبني على اللثم فأغلط في العدد وأعود

سألته التقبيل في خده * عشرا ومازاد يكون احتساب
فمذ تعانقنا وقبلته * غلطت في العد وضاع الحساب

(وصرت) أتذكر أيام الفراق * فآخذ الثار بساعات التلاق * والمحبوب قد رمى العمامة عن رأسه * وقطب وجهه عند قهقهة كأسه * وصاحبي معنا جالس في المقام * برسم قط الشموع وصف الزهور ومزج المدام

(١) الاوتار الاولى جمع الوتر وهو الذحل كالثأر وأوتار العود معروفة

(فقال) بالله أميلك الى هذا أم القينات أعظم * فأطلعنى منك على المقصود وأظهرنى على المكتتم (فقلت) ان كان حب سلمى للعيش أسلم * وعشق نعمى للعين أنعم * فقد تقنعت لكن بالحبيب المعمم (١)

أحببته متعمما ومعنقى * أبداً علىّ بظلمه يتعصب

فعندى من هواه ما طلع النفس مع النفس * ومن السرور بلقائه ما أضاءله بين جوانح الصب قبس

قد سبانى من بنى الترك رشا * جوهري الثغر مسكى النفس
قد حكى شمساً وغصناً ونقا * فى ابتهاج وارتجاج وميس
ضيق العينين تركيهما * واسع الجبهة خزى المجس (٢)
أصبحت عقرب صدغيه معا * لجني الورد فى الخد حرس
وغدا ثعبان دبوقته * جائلا فى ظهره مما أحس (٣)
لست أخشى سيفه أورمحه * انما أرهب لحظا قد نعس
اختلسنا بعد هجر وصله * ان أهنا العيش ما كان خلس
لست أنساه وقد أطلع من * خده ناراً أضاءت فى الغلس
ورمى العمة فالتاح لنا * فرق شعردق معنى ماالتبس (٤)
لمس الكأس لكي يشربها * فاعترته هزة لما لمس
ثم أدنى جوهرا من جوهر * وتحسى الكأس فى فرد نفس (٥)

---

(١) المعمم لابس العمامة وقد اعتم وتعمم واستعم وعمم رأسه لفت عليه العمامة
(٢) يريد ناعم الملمس كالحرير (٣) الدبوقة الشعر المضفور مولدة (٤) التاح كلاح : وفرق الشعر قسمه الى شطرين عن يمين وشمال (٥) قوله فى فرد نفس بالاضافة يريد دفعة واحدة

وغدا يمسح بالمنديل ما * أبقت الخمرة فى ذاك اللعس (١)

(ولم) نزل على هذه اللذة الشافية الغانية * والعيشة الصافية الضافية * حتى انتصف الليل * وأقبلت عساكر السعد بالرجل والخيل * فأمرت صاحبى برفع المدام * وتجهيز المرقد للمنام * فرفع الأوانى فى الحال * وأقبل على ذلك الشان وشال * وعلق فى المرقد نافجات المسك الاذفر * وأطلق فيه مباخر الند والعنبر (ثم) قال أين ترسم لى أن أبيت * فقلت نم عندنا لكن خارج المبيت * فأنت ممن تحققنا منه المروءة والشفقة * فاخرج عنا ودعنا ورد الباب بالحلقة * ففعل ما أمرناه وخرج * ولم يبق فى الصدر هم ولا حرج (فقلت) لمحبوبي أما تقوم بنا لننام * وأتنعم بتقبيل الثغر واعتناق القوام (فقال) لى أقوم ولكن العناق حرام (فقلت) فى عنقى تكون الاوزار والآثام

فقام ينهض والصهباء تقعده * سكرا وحاول أن يسعى فلم يطق
وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

(فقال) أستغفر الله من الفجور واللغط * ومن وقوعك أيها الانسان فى الغلط (فقلت) لاتظن ان محبتك من المعاصي والسيئات * ولا تخل ان صحيفة عاشقك كسواد خيلانك والحسنات * وأعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات

أستغفر الله الا من محبتكم * فانها حسناتي يوم ألقاه

(١) اللعس محركة سواد مستحسن مستاطف فى الشفاه أو هو سواد مشرب حمرة

فان زعمتم بأن الحب معصية * فالحب أهون مايعصى به الله

فقم بنا فدتك النفس نجعل الشك يقينا * ونستنجد بالعناق لعل العناق يقينا [1] * فمسكت يده وقمنا الى البيت * بصدد الاعتناق فيه والمبيت * فتجرد من قماشه الا من قميص فضى * وطاقية فوق جبين مضى * [2] فاضطجعنا معا فى لحاف واحد * وتوسدت منه معصم وساعدنى منه بساعد

وحللت بند قبائه عن بانة * هيفاء تحكيها الغصون وتدعى

وأخادع الارواح [3] من أنفاسها * كتماوياً بى المسك غير تضوع

حتى لوان الليل ينشد بدره * فى تمه لاصابه فى مضجعى

ولم أر أحلى من معانقته * ولا ألطف من موافقته * فالتزمته حتى صرنا كواحد * وساعده مساعف لى ومساعد

ولما زار من أهواه ليلا * وخفنا أن يلم بنا مراقب

تعانقنا لاخفيه فصرنا * كأنا واحد فى عقل حاسب

(وكلما) التزمته زاد مابي من الحنين والشوق * وكلما لثمته قادنى الوجد اليه بالسوق * فلو اتحدنا وهو لى معانق لقلت معاند * ولو مازجت روحى روحه لقلت أدن منى أيها المتباعد

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق نداني

وألثم فاه كى تزول حرارتى * فيشتد ماألقى من الهيمان

كأن فؤادى ليس يشفى غليله * سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(١) اليقين الاول ظاهر بمقابلته بالشك والثانى من وقى يقى (٢) أصلها مضىء (٣) جمع الريح

ولم يك مقدار الذى بى من الهوى * ليشفيه ماتروى به الشفتان

أتذكر ليالى الهجر بطولها * وما أربت فى الطول على شهرها وحولها * ونظرت الى البدر فى السماء وليس له عندى بهجة * ومثلته ومحبوبى فكان تفضيل المحبوب أوجب وأوجه * وقلت أخاطب الليل وأنا صدوق اللهجة

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنقى * وبات بدرك مرميا على الطرق

شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدرى وبدر صيغ من بهق [1]

(وصرت) أهصر [2] قده القويم * وألثم ثغره النظيم * فاستحكم الفرح والسرور * وكاد يشرق على وجه الارض نور * وخلعنا العذار * ونبذنا الوقار * وتدانت القلوب * وساعد المحبوب * وحصل المقصود والمطلوب * وأنشدت ولبى ذاهل * والسرور آهل

رعى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأحيا فؤادى من غرام معذب (٣)

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الراح فيما بيننا لم تسرب

فيالله ماألذ التزامه واعتناقه * وماأكثر اشفاقه بالصب وإرفاقه * فلقد سكرت من طيب شذاه عند العناق * وساق القلب الى النعيم بالتفاف الساق بالساق

عانقته فسكرت من طيب الشذ * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى

نشوان ماشرب المدام وانما * أضحى بخمر رضابه متنبذا

---

(١) البهق بياض رقيق ظاهر البشرة غير محمود شبه به بياض قمر السماء
(٢) الهصر الجذب والامالة (٣) ويروى (وأحيا فؤاداً من محب معذب)

كتب الجمال على صحيفة خده * ياحسـنه لا بأس ان يتعـوذا
أضحي الجمال باسره فى أسره * فلأجل ذاك على القلوب استحوذا
لأنتهى لاأنثنى لاأرعـوى * عن حبه فليهذ فيه من هذى
والله ماخطر السلو بخاطري * مادمت فى قيد الحياة ولا إذا (١)
انى ليعجبنى تلافى فى الهوى * ويلذلى ماقد لقيت من الاذى (٢)

(وقد) جرينا فى ميدان الهوى والخلاعة * وبذلنا فى طاعة الهوى جهد الاستطاعة * وعاصينا الوقار والنهى * وبلغنا كل قلب ماشتهي * وأعطينا النفوس غاية أمانيها * وسلمنا قوس التصابي الي باريها * واستعذبت ريقته فلم أفتر من الرشف * واستطيبت تقبيله فما غفلت عن ذاك لمحة طرف * فجعلت أقبله وأتوه فى العادة عن العد * فيقول أما تحسب قبلك التي لاتوصف ولاتحد

وغدا ينادمنى وكأس حديثه * اشهى الى من الرحيق وأطيب
قال أحسب القبل التى قبلتنى * فاجبت أنا أمـة لا تحسب

فشكرت تلك الليلة التي جادت به بعد شحها وبخلها * وتداويت بالعيون التي رمتنى بنبلها ونجلها * فيا الله ما كان أطيبها وأقصرها * وأحسنها وأخصرها ففي راحتى بقية من طيب ذلك الشذا العاطر * وفى فمى حلاوة من ذلك الريق الشهى الطاهر

وجاد الزمان به ليلة * وعما جرى بيننا لا تسل
فأنحات قامته بالعناق * وذبلت مرشفه بالقبل

---

(١) يريد ولا أذامت (٢) التلاف التلف

وهاأثر المسك فى راحتى * وهاك فمى فيه طعم العسل

فجعلت أشره فى التقبيل وهو لا يمتنع * وأردع النفس عن تكراره وهى لا ترتدع وا كفكف عبرة السرور وهى لا تنقطع * حتى عاد خاتم فيه فيروزجا * وهو لا ينكره بل كلما قصدت قبلت دموجا(١)

حملت خاتم فيه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذى لم أحصه

لولاه ما علم الرقيب فياله * من خاتم نقل الحديث بفصه

فرعا الله من ليلة ما كان أعظمها وأعزها * وأقصرها وأخصرها وأبزها * قلت فيها لقلبى أتعرف ياقلب من سمح لك بعد العناء بالعناق * وتدرى من أباحك لف الساق بالساق * ومن ذا الذى يأتى من لطيف العتاب بما يلين الحجر * ويبدى من المقال مايطيب به رعى السهر بالسمر

رعى الله ليلة وصل حلت * وما خالط الصفو فيها كدر

أتت بغتة ومضت سرعة * وما قصرت بعد ذاك القصر

خلت عن رقيب وعن حاسد * ولم تك الا كلمح البصر

بغير اختيار ولا كلفة * ولا موعد بيننا ينتظر

فقلت وقد كاد قلبى يطير * سرورا بنيل المنى والوطر

أيا قلب تعرف من قد أتاك * وياعين تدرين من قد حضر

وياقمر الافق عد راجعا * فقد بات فى الارض عندى قمر

وياليلتى هكذا هكذا * وبالله بالله قف ياسحر

فكانت كما اشتهى ليلتى * وطاب الحديث وطال السهر

---

(١) دموجا يريد متداخلة

ومر لنا من لطيف العتاب * عجائب ما مثلها فى السير
خلونا وما بيننا ثالث * فأصبح عند النديم الخبر
وصرت ألاعب المحبوب وأسامره * وأناغيه واداعبه وأساهره * ولم أقض ليلة مثلها فى العمر * ولا نالها ذو عقل ولا غمر (١) * قطعتها هياما وسهرا * ولا ذقت فيها مناما ولا كرى
لا أعرف النوم فى حالى جفا ورضا * كأن جفنى مطبوع على السهد
فليلة الوصل تمضى كلها سهر * وليلة الهجر لا أغفو من الكمد
وكلما جاء الكرى يعبث بجفونه النواعس * أوقظه بمعانقة قده المائس * وامنعه النوم بمسامرته ومساهرته * وأفوز عند مساهدته بمشاهدته * وقلت لعينيه كللتم بالنهار فرقدتم * وأصبتم قلب المستهام بالسهام فجرحتم

وفتاك اللواحظ بعد هجر * دنا كرما وانعم بالمزار
وظل نهاره يرمى بقلبى * سهاما من جفون كالشفار
وعند الليل قلت لمقلتيه * وحكم النوم فى الوجنات سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

ولم أزل فى تلك النعمة العظيمة * والمنة الجسمية * حتى رق عمود الصباح * وأعلن الداعى بحى على الفلاح * وناحت الاطيار فى الاسحار * فتصدع القلب للفراق وطار * وتحققنا وفاة ليلتنا الجانحة الناجحة * ومصادفتها الحمام لما سمعنا من الحمام فى كل ناحية نائحة

---

(١) الغمر مفهوم بمقابلته بذى العقل

وأنذرت بوفاة الليل ساجعة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لا تنفك نائحة * كأن أفراخها فى كفها ذبحت
(فقال) لى المحبوب أماترى الصبح يحسدنا على التآلف والوصال*
حتى سطا علينا وصال (فقلت) ان عندى من ذلك قلقا وضجر *
فقال ألا تراه من الغيظ قد انفلق وانفجر

قلت وقد عانقته * عندى من الصبح قلق
قال وهل يحسدنا * قلت نعم قد انفلق

وطال نوحى حين أتانا الصبح بجرذيله * وطار قلبى لطيران تلك الليلة وتذكرت تلك الليالى الطوال * وقصر ليلة القرب والوصال * فأخذت العين فى البكاء والارسال * وأخذ القلب فى الحنين والاعوال * فلم أر ليلة أطول من أحبائها بسهرها * ولا أقرب مما بين عشائها وسحرها

ياليلة كادمن تقاصرها * يعثر فيها العشاء بالسحر
تطول فى هجرنا وتقصر فى * الوصل فما تلتقى على قدر

تذكرت قيام الحبيب من صدرى * فعدمت قلبى وسلبت صبرى (فقال) لى انى عازم على الرحيل ومسارع * وقد أودعتك لمن لاتخيب لديه الودائع * وقبل يدى وانتصب للرحيل * فتضاعف مابى من البكاء والعويل (فقلت) قبل فمى فانى اليه أشوف وأشوق * وهوللصب ارفد وارفع وارفق * وأنشدت وقلبى فى الجحيم مخلد * وأنا أبكى وانتحب وأنوح واتنهد * أتذكر ليلتى المنعمة بأنواع اللطائف والتحف * وغبطتى المستحيلة بالأسى والاسف

وافى وقد يبدو الحياء بوجهه * وصدوده فى القلب نار تحرق
أمسى يعاطينى المدام وبيننا * عتب أرق من النسيم وأروق
حتى اذا عبث الكرى بجفونه * كان الوسادة ساعدى والمرفق
حتى بدا فلق الصباح فراعنى * ان الصباح هو العدو والازرق
فهناك أوفى للوداع مقبلا * فثنيت وهى بذيله تتعلق
يامن يقبل للوداع أناملى * انى الى تقبيل ثغرك أشوق

(فتولى) وتلوى وتفرد وتثنى [1] * وجرى فى المعنى على ذلك المعتاد مع المعنى * فعلم أغصان النقا كيف تميد وتميل * وعلمت أناورق الحمام كيف تنوح وتطيل

تثنى وأغصان الاراك نواضر * ونحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقى كيف تنثنى * وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

وراح ومضى * وتركنى على جمر الغضا * وغادر قلبى بنار حرى وقد أشغل واشعل * وقال لا بد من زيارتك ان كان فى العمر مهل * فأخذ القلب معه وسار * فبقيت لااعرف الفرح والمسار * فاودعته المهجة وقت الوداع * فشاع الوجد عليها وذاع * ورمى القلب لتذكاره وبعده بحرقتين * وقسمت ادمعى عليه فرقتين

ساروا وسار القلب اثر حمولهم * رهن الصبابة لايفيق ولايعى
اودعتهم مذ ودعوني مهجة * فغدوت فاقد مودعى ومودعى
وقسمت دمعى فرقتين فشطره * للظاعنين وشطره للاربع

(١) (يعنى) اعتدل وتمايل

(فجاءني) صاحبي عقب فراقه * فوجدني باكيا لبعده وانطلاقه (وقال) تهنئك ليلتك الغراء * وعيشتك الخضراء (فقلت) والله ذهب ما كنت فيه من السرور * وقد وقعت الآن في أضيق الامور * فلودام لى الوصال ألفي عام على * التحقيق ما كان يفي بساعة التوديع والتفريق

يامن سلبوا ببينهم مجموعي * قلبي وحشاي ذاب بالتقطيع[1]
لو دام لى الوصال ألفي سنة * ما كان يفي ساعة التوديع

وبقيت أتذكر ليلتي فأبكي وانوح * واغدو في عرصات الدار واروح * فجزى الله عني تلك الليلة افضل الجزاء * وجعل حظها من قمرها اوفر الاجزاء * فلقد كانت قصيرة بالقرب والوصال * ولولا طيبها لكانت تعد من الليالى الطوال

جزى الله بالحسنى ليالى اقبلت * الينا بايناس الحبيب المسامر
ليالى كانت بالسرور قصيرة * ولم تك لولا طيبها بالقصائر
فيالك فضلا كان وشك انقضائه * كزورة طيف أو كنغية[2] طائر

وها أنا اتمنى عود ليلتنا السالفة * لان قلبي بها دنف وروحي عليها ناطفة[3] * ودمعي في صحن خدي سكب ونفسي بالبعاد تالفة * وقد صرت بعدها تبعا وأنا في الحقيقة خاص * وبقيت لفقدها متيما ولات حين مناص * فلوعادت تلك الليلة لأحييت ميت الاحياء فيالله ماأعجل ماتقضت تلك بالوصال * فلقد قنعت منها اليوم ان نلت لياليها بالخيال

---

(١) دوبيت للحاجرى (٢) النغية كالنغمة (٣) ناطفة سائلة من نطف الماء إذا سال

عودى على ولو كلمح الناظر * ليعود لى زمن الشباب الناضر [1]
كل الليالى الماضيات خلاعة * تفدى نعيمك ياليالى حاجر
ما كنت فى اللذات الا خلسة * سمحت بها الايام سمحة غادر
كان الصبا زمنا أرق من الصبا * وألذ من غفوات عين الساهر
آها على أيام نجد إنها * أيام أفراح وعصر بشائر
ما كنت أقنع بالتواصل منهم * واليوم أقنع بالخيال الزائر

فقلد أضحى البعاد بديلا من التلاقى * وشؤون الجفون تفيض من من آماقى * حتى تبدلت بالنعيم جحيما * وبالخضرة هشيما * وبالعيان عتابا * وبالعذوبة عذابا * وبالوصال بعادا * وبالعناق عنادا * وبالكسب خسرانا وتغبينا * وبالكوثر زقوما وغسلينا [2]

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وناب عن طيب لقيانا تجافينا [3]
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا وغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
لو يسبق العهد منكم للسرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا [4]
إن الزمان الذى قد كان يضحكنا * انسا بقربكم قد عاد يبكينا

---

(١) الأبيات لأبى الفضل الحجرى الاربلى المتوفى سنة ٦٣٢ (٢) الزقوم شجرة بجهنم وطعام أهل النار والغسلين ما يسيل من جلود أهل النار
(٣) من قصيدة لذى الوزارتين أبى الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون أرسل بها إلى ولادة بنت المستكفى (٤) يروى (ليسق عهدكم عهد السرور فما) الخ وهى الصحيحة

غيظ العدى مذ تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بانفسنا * وانبت ما كان موصولا بايدينا
لاتحسبوا أن بعد الدار غيرنا * وطالما غير النأى المحبينا (١)
والله ماطلبت أرواحنا بدلا * منكم ولاانصرفت عنكم أمانينا (٢)
فيانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيا كان يحيينا
ياصرخة البين كم فتت من كبد * ويامنادى الاسى كم ذا تنادينا (٣)
وياغرابا ببعد الدار خبرنا * فقدت الفك كم بالبين تنعينا

فيالله ما كان أحلى قربه ووصاله * وماأسرع نأيه وارتحاله * فصرت بعده أجرد الهم للهمم * ولا أجيب العذال للصمم * وأصبوا لى أجفانه المراض الصحاح وأدخل منها فى المضايق الفساح

نعم فى جفون الترك للنفس صبوة * وللقلب فى تلك المضايق مدخل
تجرح قلبى تارة بعد تارة * وتشهد أنى عاشق فتعدل
ورب عذول لامنى فتركته * يقول وقلبى بالصبابة يفعل

وأنا أرجو من كرم الله اخضرار عود العود * وانسكاب سحاب الوصل بالجودة والجود * (٤) لاشرح الصدر بليلة كالماضية * واقطع حيازيم (٥) البعد باسياف جفونه الماضية * فانى واثق منه بالوعد الوفى * وارجوا

---

(١) يروى (لاتحسبوا الأ يكم عنا يغيرنا) ويروى (أن طالما) ويروى (وطالما)
(٢) يروى (أهواؤنا) بدل أرواحنا فى المصراع الاول (٣) هذا البيت والذى بعده تفرد الشيخ رضى الله عنه بروايتهما (٤) الجود المطر الغزير أو مالا مطر فوقه (٥) الحيازيم جمع الحيزوم وهو ما استدار بالظهر والبطن

إظهار اللطف بلطف الله الخفى * ويسكن بزلال ريقه ما سكن فى القلب من الظما * وينقطع منى الدمع بالوصل ما همع وهمى * ويزول بالقرب ماتم ونم من الغرام ونما * وأرجو ذلك عند ماأبدت العينان عندما (١) ولاأقنط من ذلك وان كان البعاد موجوداً والقرب معدماً * ولاأيأس من انس اللقاء فقد يجمع الله الشتيتين بعدما * (٢) لان قلبى واثق منه بكل جميل * وعنده لى من الحب ما يعجز عن حمل جملته جميل * (٣) ولقد أصبت ساعة الفراق مما أصبت من القلق * وأبدى منه العيان عينين يوقدان مافى الاحشاء من الحرق * واختار كل منا توديع روحه ولا يفارق الخل ويودعه * واستودعه قمرى الذى غدا وفلك الازرار مطلعه

ودعته وبودى لو يودعنى * طيب الحياة وانى لا أودعه (٤)
وكم تشفع انى لاأفارقه * وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي خوف الفراق ضحي * وأدمعى مستهلات وأدمعه (٥)

---

(١) العندم الدم (٢) قوله فقد يجمع الخ هذا صدر بيت مضمن وعجزه (يظنان كل الظن أن لا تلاقيا) (٣) هو جميل بثينة الشاعر المحب المشهور (٤) من قصيدة ابن زريق البغدادى وكان قصد الاندلس فى طلب الغنى التى مطلعها

لا تعذليه فان العذل يولعه   قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وقوله ودعته يروى هذا البيت هكذا

ودعته وبودى لو يودعنى   صفو الحياه وانى لا أودعه

(٥) التشبث التمسك ويروى (وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى)

لأكذب الله ثوب العذر منخرق * عنى بفرقته لكن أرقعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته * كاسا أجرع منه ما أجرعه [1]
انى لأقطع أيامى وأنفدها * بحسرة منه فى قلبى تقطعه
يامن اذا هجع النوام بت له * بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن لقلبى مضجع وكذا * لا يطمئن له مذ بنت مضجعه [2]
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى * به ولا أن بى الأيام تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد * غدت تمنعنى عنه وتمنعه [3]
فكنت من ريب دهرى خائفا جزعا * فلم أوق الذى قد كنت أجزعه [4]
بالله يامنزل القصر الذى درست * آثاره وعفت مذ بنت أربعه [5]
هل الزمان معيد فيك لذتنا * أم الليالى التى أمضته ترجعه [6]
من عنده لى عهد لا يضيعه * كماله عهد صدق لا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره وإذا * جرى على قلبه ذكرى يصدعه [7]

---

(١) يروى اعتضت (عن) بدل من (٢) يروى (لجنبى) بدل لقلبى ووجاهته ظاهرة (٣) يروى المصراع الثانى هكذا عسراء تمنعنى عنه وتمنعه (٤) هذا البيت تفرد بروايته المؤلف رحمه الله أولعله من زيادة النساخ فهم آفة العلم وضعف هذا البيت ظاهر حيث لم يرد فى كلامهم (أجزع الامر)

(٥) يروى (القصف) بدل القصر ويروى (مذ غبت) بدل مذبنت والقصف من اللهو غير عربى (٦) يروى فى المصراع الثانى (الذى) بدل اللتى ويكون المعنى على هذا أم ترجع الليالى الذى أمضته من اللذة

(٧) يروى المصراع الثانى هكذا (به ولابى فى حال يمتعه)

لأصبرن لدهر لا يمتعنى * به كما أنه بي لا يمتعه
علما بأن اصطبارى معقب فرجا * وأضيق الأمر ان فكرت أوسعه
عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا * جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه (١)

وهاأ نا أوجوا عود الوصال * وبلوغ المنى والآمال * إنه على جمعهم اذا يشاء قدير *وبالاجادة لطيف خبير*وحسبنا الله ونعم الوكيل*ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين * وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) يروى فى أول البيت (عل الليالى) والله تعالى أعلم وأحكم

يقول عبد الله الغنى أبو الفضل الأزهرى مصحح هذا الكتاب

الحمد لله بدءاً وختاماً وصلى الله على مولانا سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فأنى أنبه القارئ الى بعض أغلاط مطبعية كما وقع بوجه ١٥ سطر ٦ (ومعذوراً اذا مات)وصوابه (اذا ما مات)وهفوات صدرت منى يتجاوز عنها القارئ المنصف وأسأل الله العزيز أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى وما تأخر انه سميع مجيب